لقاء الأحبة في رمضان

«ثلاثون مجلسًا للأسرة المسلمة»

تأليف فضيلة الشيخ

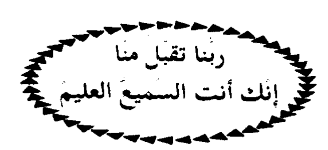
سعيد محمد السواح

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار القمة
لتوزيع الكتاب والشريط والتسجيلات
فاكس: ٥٤٥١٧٦٩ ت: ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
إسكندرية ت ٥٤٥٧٧٦٩

بسم الله الرحمن الرحيم





دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع ١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت: ٥٤٤٦٤٩٦

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله ، نحمده سبحانه ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمد عبده ورسوله .

ثم أما بعد :

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ .

[الأحزاب : ٧٠ ، ٧١] .

أما بعد :

إن شهر رمضان شهر كريم طيب مبارك ، خصه الله دون سواه من الشهور بهذه الفريضة التي فرضها الله علينا ، كما أنزل الله فيه القرآن كتاب هداية وبيان وإرشاد لا سبيل للإنسان إلى السعادة في الدنيا والآخرة إلا من خلال إقامة هذا القرآن في حياتنا .

قال تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

والإنسان يجد في رمضان تيسيراً في أداء العبادات التي كان يتثاقلها في غير رمضان ، وترى الإنسان وقد انكب على كتاب ربه انكبابًا في هذا الشهر ويُرى تعلقه بهذا الكتاب طوال أيام رمضان ولا يمل من قراءته صباحًا كان أو مساءًا ، بل تراه يقتنص أي لحظة لينظر فيها إلى كتاب الله تعالى ، ونرى هذا اليُسر في أداء صلاة القيام ، ويبحث الإنسان عن الأصوات التي تحرك مشاعره ، وهي تقرأ القرآن في صلاة القيام .

وفي رمضان نرى أن الأسرة تجتمع على موائد الطعام وتلتف حول مائدة الطعام ، وفي صورة قد لا نراها في باقي العام ولكن الكل يجتمع في هذه اللحظات ، ولعلهم لم يجتمعوا في غير رمضان إلا نادرًا على طعام .

ونحن نحتاج إلى اجتماع من لون آخر في رمضان لنستكمل به فرحتنا بقدوم رمضان ، فقد يهتم الإنسان بزاد البدن ولكنه ينسى زاد الروح زاد الآخرة .

فكما تجتمع الأسرة على هذه الموائد الرمضانية نجتمع أيضًا على هذا الزاد الذي يوصلنا إلى مقصودنا في الآخرة ، فلتجتمع الأسرة في بضع دقائق ليتناولوا هذه الوجبة الشهية التي ترقى فيه الأرواح ونغذيها بغذائها بعدما غذينا ذلك البدن .

وإنها لفرصة عظيمة أن نجتمع على كلام ربنا وعلى سُنَّة رسولنا ﷺ ، وقد آثرنا أن نقسم هذا الكتاب إلى مجالس في كل مجلس لا نتناول إلا آية واحدة وحديثًا واحداً ، حتى يُسطر لنا في ديواننا هذا المجلس الذي تنزل فيه السكينة وتغشاه الرحمة وتحفُّهُ الملائكة ويذكرهم الله فيمن عنده .

فعليك أن تتخير الوقت الذي سوف تجتمع فيه الأسرة ، ليأخذوا هذا الحظ من زاد الآخرة ، وكما قال سبحانه وتعالى : ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ

وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة : ١٩٧] .

ونقول في دعائنا : « اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إمامًا » .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تأليف

سعيد محمد السواح

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين





المجلس الأول



الآيــــة :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

الحديــث :

قال رسول الله ﷺ : « **الطَّهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حُجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » [رواه مسلم، ك الطهارة ، فضل الوضوء .]







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

■ لو وجهت إليك دعوة لكي تحيا يومًا في سعادة وفرح ومرح فهل ستقبلها أم لا ؟ .

■ لو وجهت إليك دعوة لكي تعيش فيها لحظات طيبة مع من تحب فهل ستقبلها أم لا ؟ .

■ لو وجهت إليك دعوة من ملك من ملوك الدنيا فهل ستقبلها أم لا ؟ .

أيها الحبيب :

ماذا لو وجهت إليك دعوة من ربك ، من الملك ، دعوة للحياة ـ لحياة أبدية لا شقاء فيها ولا حرمان ـ ، فهل ستقبلها أم لا ؟ .

فلقد وجه الله تعالى لك الدعوة فقال :

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

فهذه دعوة من ربك موجهة إليك ، نادى فيها سبحانه عليك بنداء الإيمان، هذا الإيمان الذي تسكن إليه النفوس وتطمئن إليه القلوب ويتحرك من خلاله باعث الإيمان في القلب ، نادى به سبحانه عليك لكي تستجيب وتمتثل لطاعة ربك ولطاعة رسوله ﷺ ، حيث الحياة الطيبة المطمئنة التي ملؤها السعادة والفرح والسرور والفلاح ، في الدنيا والآخرة ، فهل من مستجيب ؟ .

فهل من قائل : لبيك ربنا وسعديك ، والخير بين يديك ، وأنا عبدك بين يديك ، ولتنظر أيها الحبيب إلى صحابة النَّبيّ ﷺ كيف استجابوا لربهم ولدعوة

نبيهم ﷺ ، وكيف كان جزاء الله لهم ومنّته ، وعطائه لهم لما استجابوا لربهم .

يقول أبو هريرة رضي الله عنه لما أنزلت على النَّبي ﷺ : ﴿ للَّه مَا في السَّمَوات وَمَا في الأَرْض وَإن تُبْدُوا مَا في أَنفُسكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسبْكُم به اللَّهُ فَيَغْفرُ لمَن يَشَاءُ وَيُعَذّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) ﴾ [البقرة : ٢٨٤] .

قال رضي الله عنه :اشتد ذلك على أصحاب النَّبيّ ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا : ـ أي رسول الله ـ ، كُلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة ، وقد أُنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها ، قال رسول الله ﷺ : « **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم : سمعنا وعصينا ، بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير** ، فلما اقترأها القوم ذلت بها ألسنتهم ، فأنزل الله في إثرها : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بمَا أُنزلَ إلَيْه من رَّبّه وَالْمُؤْمنُونَ كُلٌّ آمَنَ باللَّه وَمَلائكَته وَكُتُبه وَرُسُله لا نُفَرّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مّن رُّسُله وَقَالُوا سمعنا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإلَيْكَ الْمَصيرُ (٢٨٥) ﴾ [البقرة : ٢٨٥] .

فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فأنزل الله عز وجل :

- ﴿ لا يُكَلّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾
- ﴿ رَبَّنَا لا تُؤَاخذْنَا إن نَّسينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ قال : « **نعم** » .
- ﴿ رَبَّنَا وَلا تَحْملْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذينَ من قَبْلنَا ﴾ قال : « **نعم** » .
- ﴿ رَبَّنَا وَلا تُحَمّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا به ﴾ قال : « **نعم** » .
- ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافرينَ ﴾ قال : « **نعم** ».

وفي رواية : قال : « قد فعلت » [١] .

---

(١) مسلم / ك الإيمان / باب بيان تجاوز الله تعالى عن حديث النفس .

ولذا قال النَّبي ﷺ مبينًا فضل الله تعالى ومنَّته على هؤلاء القوم بعدما استجابوا لكلام رسولهم ﷺ : « **إن الله تجاوز لأُمَّتي ما حدثت به أنفسها ، ما لم يتكلموا أو يعملوا به** » .

فهؤلاء الصحابة ﷺ اعتقدوا في بداية الأمر أنهم يؤاخذون بما لا قدرة لهم على دفعه من الخواطر التي لا تكتسب ، فلما أتوا النَّبيّ ﷺ يشكون ضعفهم وعجزهم وليس اعتراضًا على كلام ربهم سبحانه ، بيَّن لهم النَّبيّ ﷺ أن هذا المسلك يشبه مسلك اليهود والنصارى ، حيث قالوا : سمعنا وعصينا ، ولكن المؤمن ينبغي عليه أن يقول لأوامر ربه وأحكامه : ﴿ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ .

فلما فعلوا ما أمرهم به النَّبيّ ﷺ وألقى الله الإيمان في قلوبهم وذلت هذه القلوب بالاستسلام والانقياد وكذا ألسنتهم ، رفع الله الحرج عنهم ونسخ هذا التكليف وأنزل سبحانه : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ .

ولقد قال رسول الله ﷺ : « **من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه** » [١] .

ولقد حدد الله تعالى لنا مسلك المؤمن كيف هو مع كتاب ربه وسُنَّة رسوله ﷺ ، فقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) ﴾ [النور : ٥١] .

فما لك من بد إلا أن تستمع بأُذنيك وتُنصت بقلبك استجابة لربك إذا دعاك لما فيه حياتك وسعادتك في الدنيا والآخرة لتنعم في الدنيا والآخرة .

واحذر !!! ولتحذر من أن يكون مسلكك مع كتاب ربك وأوامره ونواهيه مسلك المنافقين ، الذي قالوا : آمنَّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأركانهم .

(١) البخاري / ك فضائل القرآن / باب فضل سورة البقرة .

﴿ وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُولَٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧) وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ (٤٨) وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩) أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) ﴾ [النور : ٤٧ – ٥٠] .

ونقول لك أيها الحبيب :

لماذا لا تقبل على طاعة ربك ؟ .

ولمَ تتباطئ في امتثال أوامر ربك ؟ .

ولما تؤثر الدنيا على طلب الآخرة ؟ .

فلا شك أن السبب الرئيسي في ذلك هو حبك للدنيا الذي تمكّن من قلبك وكذلك مكانة هذا النعيم العاجل عندك وحبك للملذات والشهوات التي ملكت عليك نفسك وحياتك ويكفيك قول ربك : ﴿ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧) ﴾ [الأعلى : ١٦ – ١٧].

وكذلك ظنك أن الطاعة فيها تقييد لحريتك وشهواتك التي تدعوك إليها نفسك ! .

فلتعلم أيها الحبيب :

أن هذا ظن فاسد ، إن وقع في نفسك وقلبك أن الطاعة فيها تضييق على النفس وحرمان الإنسان من فعل ما يحب .

فنقول لك : أأنتم أعلم أم الله ؟ .

فمن الذي خلق الدنيا ، ومن الذي خلقك ، ومن الذي خلق لنا هذا المتاع الذي تراه في الدنيا ؟ ، أليس الله تعالى .

■ فمن أولى أن يصف لك كيف تتعامل مع الدنيا ؟ ، أليس الله تعالى .

■ ومن أولى أن يصف لك سبيلك للاستمتاع بنعيمها ؟ ، أليس الله تعالى .

■ ومن أولى أن يصف لك سبيلك لتحقيق السعادة التي ترجوها ؟ ، أليس الله تعالى ، فليس لك عند ذلك إلا التسليم .

ويكفيك قول ربك : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النحل : ٩٧] .

نظن أنه يكفيك ذلك لتصحيح هذا المفهوم الخاطئ عن الدنيا وعن الطاعة ، وعن الاستجابة لنداء ربك سبحانه وتعالى .

فقم وقل : لبيك ربنا وسعديك ، والخير بين يديك ، وأن عبدك بين يديك .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب : أيها الغادي :

هذه بضاعتنا ، فنحن نتاجر مع ربنا عز وجل .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **الطُّهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملأ ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حُجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » [(١)] .

ولقد دل هذا الحديث على أن كل إنسان إما ساعٍ في هلاك نفسه أو في فكاكها ، فمن سعى في طاعة الله فقد باع نفسه لربه سبحانه وأعتقها من عذابه ، ومن سعى في معصية الله تعالى فقد باع نفسه بالهوان ، وأوبقها بالآثام الموجبة لغضب الله وعقابه .

فالناس غاديان ، فبائع نفسه فموبقها ، وقائد نفسه فمعتقها .

يقول سبحانه : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝ ﴾[الليل : ٥ – ١١] .

فأنت أيها الغادي :

لك أن تعقد هذه الصفقة إما مع ربك وإما مع غيره ، ولتعلم أن ربح البيع مع الله تعالى هو الجنة ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ

---

(١) رواه مسلم ، ك الطهارة ، فضل الوضوء .

يُقَاتلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة : ١١١] .

قال محمد بن الحنفية ـ رحمه الله ـ :

« إن الله عز وجل جعل الجنة ثمنًا لأنفسكم فلا تبيعوها لغيره » .

ولذا كان جماعة من السلف يشترون أنفسهم من الله عز وجل ، فمنهم من تصدق بماله ، ومنهم من كان يجتهد في الأعمال الصالحة ، وكانوا يقولون : إنما أنا أسير أسعى في فكاك رقبتي .

وكان الحسن رحمه الله يقول : المؤمن في الدنيا كالأسير يسعى في فكاك رقبته لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله عز وجل ، ويقول : ابن آدم ، إنك تغدو وتروح في طلب الأرباح ، فليكن همك نفسك فإنك لن تربح مثلها أبدًا .

وكان بعضهم يقول : خلص رقبتك ما استطعت في الدنيا من رق الآخرة ، فإن أسير الآخرة غير مفكوك أبدًا .

أثامن بالنفس النفيسة ربَّها	وليس لها في الخلق كلهم ثمنُ
بها تملك الأخرى فإن أنا بعتها	بشيء من الدنيا فذاك هو الغُبنُ
لئن ذهبت نفسي بدنيا أصيبها	لقد ذهبت نفسي وقد ذهب الثمن

فهذه بضاعتنا أيها الغادي إلى ربه ، الساعي في فكان رقبته من النار ، فهل من مُشمرٍ ، فهل من مُجدٍ ، فهل من مُجتهد ، فهل من لبيبٍ ؟! .

فالصلاة نور : فإنها تمنع من المعاصي وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي إلى الصواب ، كما أن النور يستضاء به فهي نورٌ ظاهر على وجه صاحبها يوم القيامة وبهاءٌ على وجه صاحبها في الدنيا .

والصدقة برهان : فهي حجة على إيمان فاعلها ، فإن المنافق يمتنع منها .

والصبر ضياء : وهو الثبات على الكتاب والسُّنَّة .

والقرآن حجـةٌ لك أو عليك : أي تنفع به إن تلوته وعملت به ، وإلا فهو حجة عليك .

والذكر كما قال عنه النَّبيّ ﷺ : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان للرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم** » .

أيها الغادي :

أي الطريقين تختار ؟ .

هل تهاجر إلى ربك أم تهاجر إلى شهواتك وملذاتك ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ﷺ ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دُنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

« اللهم آتِ نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها ،أنت وليها ومولاها » .





المجلس الثاني

الآيــــة :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ [النحل : ٧٨] .

الحديــث :

قال رسول الله ﷺ : « **اغتنم خمسًا قبل خمس : حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك** » [رواه الحاكم ، والبيهقي ، صحيح] .





بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل أنت من عباد الله الشاكرين ؟ .
- هل أنت من المغترين بعلمهم وعملهم ؟ .
- هل تعرفت على نِعْم الله عليك ؟ .

لقد قال الله تعالى :

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) ﴾ [النحل : ٧٨] .

فالله سبحانه يذكر منَّتهُ على عباده في إخراجهم إياهم من بطون أُمَّهاتهم لا يعلمون شيئًا ثم بعد هذا يرزقهم السمع،الذي يدركون به الأصوات والمسموعات ويرزقهم البصر الذي يحسون به المرئيات ويرزقهم الأفئدة وهي العقول التي يميزون بها بين الأشياء الضارة والنافعة ، وإنما أعطى الله ومنح الإنسان هذه العطايا ليتمكن من عبادة ربه تعالى فيستعين بكل جارحة وعضو وقوة على طاعة مولاة .

فالله أعلمكم ما لم تكونوا تعلمون من بعد ما أخرجكم من بطون أمَّهاتكم لا تعقلون شيئًا ولا تعلمون ، فاشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم .

وقال مجاهد ـ رحمه الله ـ : هذه نعم من الله متظاهرة يقررك بها كيما تشكر .

وقرأ الفضيل ـ رحمه الله هذه الآية ليلة فبكى فسُئِل عن بكائه فقال : هل بت ليلة شاكرًا لله أن جعل لك عينين تُبصر بهما ؟ ، هل بت ليلة شاكرًا لله أن

جعل لك لسانًا تنطق به ، وجعل يُعدد نعْم الله تعالى .

أيها الحبيب :

استمع إلى قول ربك الذي خلقك فسواك فعدلك ، فركبك على أحسن صورة ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ (٢٣) ﴾ [الملك : ٢٣] .

وقال سبحانه :﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ [البلد : ٨ – ١٠] .

فعد أيها الإنسان بذاكرتك إلى بداية تكوينك كجنين في بطن أمك ، فما أنت أيها الإنسان ؟! أما تذكر . . .

فما أنت إلا عبارة عن نطفة وضعت في رحم أمك واحتوتك أحشاؤها ، ثم تنقلت وأنت في رحمها من طور إلى طور حتى خرجت إلى الدنيا بعدما اكتملت خلقتك .

- واليوم أنت تتكلم وتمرح وتسعى وتعمل وتلهو .
- اليوم تخاصم وتجادل وتعاند .
- اليوم تستعلي على كتاب ربك وعلى سُنَّة رسولك ﷺ .
- اليوم أصبح لك وجهة نظر في كذا وكذا مما أمر الله به .
- اليوم تمر على آيات الله وهي تُتلى عليك فما منك إلا أن تتولى وتستكبر كأن لم تسمعها ، بل ولا تعطيها أدنى اهتمام .

فيا أيها الإنسان :

- أليس هذا السمع من نِعم الله عليك .

- أليس هذا البصر من نِعم الله عليك .
- أليس هذا التذوق من نِعم الله عليك .
- أليس هذا الشم من نِعم الله عليك .
- أليس هذا الإحساس من نِعم الله عليك .

فلو اعترفت وليس لك إلا الاعتراف أنها من نعم الله عليك ، فلتبصر كيف وجهتها أتراك وجهتها بالصورة التي يظهر من خلالها أنك قائم بشكر ربك عليها أم وجهتها بالصورة التي تحصل من خلالها على ملذاتك وشهواتك ورغباتك .

وهذا يونس بن عبيد - رحمه الله - أن رجلاً شكا إليه ضيق حاله ، فقال له يونس : أيسرك أن لك ببصرك هذا الذي تبصر به مائة ألف درهم ؟ ، قال الرجل : لا ، قال : فبيدك مائة ألف درهم ؟، قال الرجل : لا ، قال : فبرجليك ، قال الرجل : لا ، قال فذكره نعم الله عليه ، فقال يونس : أرى عندك مئات الألوف وأنت تشكو الحاجة .

وهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ** »[1] .

فهذه النعم مما يُسأل الإنسان عن شكرها يوم القيامة ، ويُطالب بها كما قال الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ** ⑧ ﴾ [التكاثر : ٨] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم ، كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

---

(١) البخاري / ك لرقاق / باب لا عيش إلا عيش الآخرة .

أيها الحبيب :

فلتستمع إلى ربك لما أمرنا بشكره ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ .
[البقرة : ١٧٢] .

ولذا مدح الله إبراهيم عليه السلام وكذا نوحًا عليه السلام ، فقال سبحانه عن إبراهيم ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ [النحل : ١٢٠ – ١٢١] .

وقال سبحانه عن نوح : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء : ٣] .

وهذا نبينا وإمامنا وقدوتنا المصطفى ﷺ كان يعلِّم أصحابه كيف يشكرون، لقد قال النَّبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : والله يا معاذ إني أحبك ، فلا تنس أن تقول في دبر كل صلاة : « **اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك** » .

وهذا النَّبيّ ﷺ الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر كان يقوم من الليل حتى تتورم قدماه ، فقيل له : تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال ﷺ : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » .

أيها الحبيب :

لعلك تقول كيف أعبده سبحانه وتعالى بالشكر وكيف السبيل لأن أكون شاكراً ربي ، لقلنا لك الأمر سهل ويسير على من يسر الله عليه ، فهذا يكون بظهور أثر نعمة الله على لسانك ثناءً واعترافًا ، وعلى قلبك شهوداً ومحبة ، وعلى جوارحك انقياداً وطاعة .

ولتعلم أيها الحبيب :

أن من شكر فإنما في الحقيقة يشكر لنفسه ، فشكرك لربك يعود عليك أنت

بالمنفعة في الدنيا والآخرة فربك غني حميد ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ [لقمان : ١٢].

وختاماً أيها الحبيب :

لا تنس أن يلهج لسانك بطلب العون والمدد من ربك ، ولتقل [illegible]
« اللهم أعني على ذكرك وشُكرك وحُسن عبادتك » .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

إن رأس مال المسلم في هذه الحياة وقت قصير ... أنفاسٌ محدودة وأيام معدودة ، فمن استثمر تلك اللحظات والساعات في الخير فطوبى له ، ومن أضاعها وفرط فيها فقد خسر زمنًا لا يعود إليه أبدًا . ومن جهل قيمة الوقت الآن فسيأتي عليه حين يعرف فيه قدره ونفاسته وقيمة العمل فيه ، ولكن بعد فوات الأوان حيث لا ينفع الندم ، لذا كان هذا التوجيه من النَّبيّ ﷺ حيث قال : « **اغتنم خمسًا قبل خمس ، حياتك قبل موتك ، وصحتك قبل سقمك ، وفراغك قبل شغلك ، وشبابك قبل هرمك ، وغناك قبل فقرك** » [١] .

فعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا وحصاد ما زرع يكون في الآخرة ، فالواجب على المسلم المبادرة بالأعمال الصالحة قبل انتهاء الأجل وانقطاع العمل قبل أن يُحال بينه وبين الصالحات ، إما بمرض أو موت أو شغل ، فلا يبقى إلا الندم على ضياع الوقت وفواته، ولنسمع إلى قول الله سبحانه وتعالى لحال الإنسان ساعة الاحتضار : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون : ٩٩- ١٠٠] .

وكذا في الآخرة حين توفَّى كل نفس ما عملت وتُجزى بما كسبت ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنعام : ٢٧] .

---

(١) رواه الحاكم ، والبيهقي ، صحيح .

فيبين لنا خالقنا سبحانه أنه إذا حيل بين الإنسان والعمل لم يبق إلا الحسرة والأسف ويتمنى الرجوع إلى حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمنية .

أيها الحبيب :

ما لك بضاعة إلا العمر ومتى فنى فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم عليّ به ، ولو توفاني لكنت أتمنى أن يرجعني إلى الدنيا يومًا واحدًا حتى أعمل فيه صالحًا .

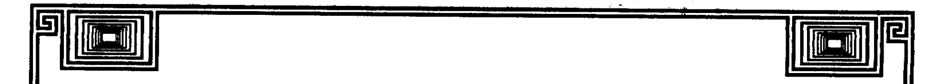
فاحسب أنك قد تُوفِّيت ثم رددت فإياك ثم إياك أن تُضيع هذا اليوم فيفوتك من درجات عليين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك ، وإن دخلت الجنة فاعلم أخي الحبيب أن أرباب البصائر عرفوا أن الله لهم بالمرصاد ، وأنهم سيناقشون في الحساب ويُطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا أنهم لا ينجيهم إلا لزوم المحاسبة ومطالبة النفس في الأنفاس والحركات ومحاسبتها عن الخطرات واللحظات ، وتمثلوا قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

وهذا إبراهيم التيمي - رحمه الله - يقول :

« مثلت نفسي في الجنة آكل من ثمارها وأشرب من أنهارها وأعانق أبكارها ثم مثلت نفسي في النار آكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعالج سلاسلها وأغلالها فقلت لنفسي : أي نفسي ، أي شيء تريدين ؟ ، قالت : أريد أن أُرد إلى الدنيا فأعمل صالحًا ، قال : قلت : فأنت في الأمنية ، فاعملي » .

وحسبنا ما قال ربنا تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) ﴾ [الحشر : ١٨] .

فلتسارع قبل أن يُغلق الباب ويُنادي المنادي ... الرحيل ... الرحيل ، فقد أزفت الآزفة .



المجلس الثالث

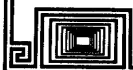
الآيــــة :

قال الله تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ** ﴾[الأعراف : ١٨٥] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **ما لي والدينا ، إنما مثلي ومثل الدنيا ، كمثل راكب ، قَالَ في ظل شجرة ، ثم راح وتركها** »[رواه الترمذي] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

لقد أقام الله لنا دليلاً على وحدانيته وعلى انفراده سبحانه بالخلق والتدبير ، والإحياء والإماتة ، والنفع والضر ، والملك والمُلك التام وعلى انفراده بالأمر والنهي والسيادة والتشريع ، وأمرنا سبحانه بالنظر في أسرار هذا الكون وما حوى من كائنات ، وأن ندقق البصر في إبداعها والتفكر في عجائب نظامها لنصل بذلك إلى التعرف على الخالق الحكيم العليم رب كل شيء وبارئه .

يقول سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

فلقد ندب الله إلينا أن ننظر ونتفكر في آيات الله الكونية وهذه البراهين الساطعة الباهرة لنتعرف على عظمة الخالق سبحانه ، وذلك من خلال تعرفنا على عظم مخلوقاته ، فهذا أدعى للإنسان أن يُخلص هذا الدين لله تعالى .

وهذه ليست بالآية الوحيدة الداعية للنظر والتفكر ، بل كما قال الله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٣) ﴾[فصلت : ٥٣] .

وقال سبحانه لافتًا الأنظار إلى ملكوت السموات والأرض : ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ (٦) وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ (٨) ﴾ .

[ق : ٦ – ٨] .

وكذا قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ [الغاشية : ١٧ – ٢٠] .

ولقد ندب الله للإنسان أن ينظر في خلق نفسه ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨) ﴾ [الطارق : ٥–٨] .

فكل هذه الآيات وأمثالها لافتة أنظارنا إلى التدبر في خلق الله ومصنوعاته لأنها الكتاب المنظور الدال على الله فإن الصنعة تدل على الصانع .

وانظر إلى هذا الأعرابي وكيف استدل على وجود الله تعالى من خلال هذه المشاهد الكونية عندما سُئل هذا الأعرابي ما الدليل على وجود الرب تعالى ، فقال : يا سبحان الله ، إن البعر ليدل على البعير ، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير .

فيا عجبًا كيف يُعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

فيا أيها المسلم الحبيب :

أن التفكر في آيات الله التي هي في الحقيقة تدل على الله تعالى لا يعرفها ولا يدركها إلا ذوي العقول النيرة وأرباب البصائر الذين شغفوا بذكر الله تعالى وأولعوا به في جميع أحوالهم قائمين وقاعدين ومضطجعين على جنوبهم ومستلقين على ظهورهم ويضيفون إلى ذكر الله النظر في هذا العالم السلفي

والعلوي ، وهذه الأجرام المشاهدة والكتاب المنظور متفكرين في عجائب ما صنع الله وأبدعه وأتقنه قائلين : يا ربنا ما أوجدت هذا الخلق لعبًا ولهوًا وعبثًا بلا حكمة فإنك سبحانك منزه عن الباطل فاحفظنا يا ربنا يا رحيم يا بر يا ودود من عذابك الأليم ونار الجحيم، فإنك يا ربنا من أدخلته نارك فقد أهنته وأذللته وأخزيته، وليس للكافرين والظالمين من أنصار يحولون بينهم وبين عذابك المهين .

ثم نرى أن أولي الألباب يسترسلون في الأدعية والابتهالات والاستغفار وسؤالهم ما وُعدوا به على ألسنة الرسل ، لأنه تعالى لا يخلف الميعاد .

وربك قد استجاب لهم في سؤلهم فهو سبحانه يحفظ على العباد أعمالهم، ولا يضيع عنده مثقال ذرة ، بل كل أعمال العباد مصونة محفوظة عنده سبحانه ليوفيهم أجورهم وثوابهم وجزاءهم على ما قدموا من أعمال .

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ .

[آل عمران : ١٩٠ - ١٩١] .

فإليك أيها الحبيب نذكرك بقول الملك : **﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) ﴾**

[المؤمنون : ١١٥-١١٦] .

ولتحذر من تعطيل حواسك ولتتعظ بما وصف الله لنا من سبب إهلاك طوائف من الناس لأنهم غيبوا حواسهم عن الانتفاع بها .

﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩) ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

ولقد حثنا الله تعالى ودعانا إلى التفكر في خلقه ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

فلتفتح بصيرتك على مشاهدة هذا الكون العظيم لترى حركة هذا القلب الذي يعمره الإيمان ، وهو يتحرك تعظيمًا وإجلالاً لخالق الأرض والسموات .

ولتعلم أيها الحبيب أن تفكر ساعة خير من قيام ليلة ، فالتفكر في خلق الله وفي آيات الكون المشهورة لتحرك القلب إلى خالق هذا الكون ومبدعه ، وأن القلب ليطير شوقًا إلى خالق الكون ومدبره سبحانه سبحانه .

وإليك أيها المسلم الحبيب :

نهدي إليك في الختام ما قاله جُبير بن مطعم رضي الله عنه ، يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ (٣٧)﴾ [الطور : ٣٥-٣٧] ، كاد قلبي أن يطير .

فحقٌ لقلب كل مسلم أن يطير عندما يشاهد هذه الآيات الكونية المنظورة، الدالة على تفرد الرب سبحانه في ربوبيته وألوهيته ويشهد القلب أسماء الله الحسنى وصفاته العُلى .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

سبيلك في الدنيا سبيل مسافر ولابد من زاد لكل مسافر
ولابد للإنسان من حمل عُدة ولا سيما إن خاف صولة قاهر

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيّ فقال : « **كن في الدُّنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل** » .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : « **إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك** » [١] .

وهذا الحديث : أصل في قصر الأمل في الدنيا ، فإن المؤمن لا ينبغي له أن يتخذ الدنيا وطنًا ومسكنًا فيطمئن فيها ، ولكن ينبغي أن يكون فيها كأنه على جناح سفر ، ولذلك كان نبينا ﷺ يقول : « **ما لي وللدُّنيا ، إنما مثلي ومثل الدُّنيا كمثل راكب قَالَ في ظل شجرة ، ثم راح وتركها** » [٢] .

وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتعاملون مع الدنيا كقدوتهم في ذلك ، النَّبيّ ﷺ ، فكان عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة ، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ، ولكل منهما بنون ، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا ، فإن اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل .

فالدنيا ليست بدار قرار ولا دار إقامة ولا وطنًا ، فينبغي للمؤمن أن يكون في

---

(١) خ / كتاب الرقاق ٦٥١٧ .
(٢) ت / كتاب الزهد ، ٢٣٧٧ ، جه / كتاب الزهد ٤١٠٩ .

الدنيا على أحد هذين الحالين التي أوصى بها النبيّ ﷺ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

إما أن ينزل المؤمن نفسه كأنه غريب في الدنيا يتخيل الإقامة ، لكن في بلد غربة فهو غير متعلق القلب ببلد الغربة ، بل قلبه متعلق بوطنه الذي يرجع إليه .

وإما أن ينزل المؤمن نفسه في الدنيا كأنه مسافر غير مقيم البتة ، وإنما هو سائر في قطع منازل السفر حتى ينتهي به السفر إلى آخره وهو الموت .

قال داود الطائي : إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم إلى آخر سفرهم ، فإن استطعت أن تُقدّم في كل مرحلة زادًا لما بين يديها فافعل ، فإن انقطاع السفر عن قريب ما هو والأمر أعجل من ذلك ، فتزود لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالأمر قد بغتك .

وقال بعضهم في نصيحة لأخيه : يا أخي يُخيل لك أنك مقيم ، بل أنت دائب السير تساق مع ذلك سوقًا حثيثًا ، الموت متوجه إليك ، والدنيا تطوي من ورائك ، وما مضى من عمرك فليس بكارٍّ عليك حتى يكر عليك يوم التغابن .

وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟، قال: ستون سنة ، قال : فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك يوشك أن تبلغ ، فقال الرجل :﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ [البقرة : ١٥٦] ، فقال الفضيل : أتعرف تفسيره تقول :﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ فمن عرف أنه لله عبد وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف ، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسئول ، ومن علم أنه مسئول فليعدّ للسؤال جوابًا، فقال الرجل : فما الحيلة؟ ، قال يسيرة ، قال : ما هي ؟ ، قال : تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أُخذت بما مضى وما بقي.

ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنه يذكر هذه الوصية ، وهي مأخوذة من الحديث ، فإن الإنسان إذا أمسى لم ينتظر الصباح ، وإذا أصبح لم ينتظر المساء ، بل يظن أن

أجله يدركه قبل ذلك .

وكان يقول : « **خذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك** » ، أي اغتنم الأعمال الصالحة في الصحة قبل أن يحول بينك وبينها السقم ، وفي الحياة قبل أن يحول بينك وبينها الموت ، وكان النَّبيّ ﷺ يقول : « **نعمتان مغبون فيها كثير من الناس ، الصحة والفراغ** » (١) .

فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها ويحال بينه وبينها ، إما بمرض ، أو موت ، ومتى حيل بين الإنسان والعمل لم يبق إلا الحسرة والأسف عليه ، ويتمنى الرجوع إلى حالة يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمنية .

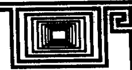
﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)** ﴾ .

[المؤمنون : ٩٩ – ١٠٠].



---

(١) خ / كتاب الرقاق ٦٤١٢ .



المجلس الرابع

الآيــــة :

قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق : ١٦ – ١٨] .

الحديث :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا ، ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » [رواه مسلم] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل راقبت خواطرك في يوم ما ، هل أبصرتها ؟ .

هل راقبت هؤلاء الملائكة الذين يوكلهم الله تعالى بكتابة ما يصدر منك ؟ .

هل أكرمتهم ؟! ، فإنهم والله كرامًا كاتبين .

فيا أيها الحبيب :

لقد أمرنا الله بمراقبته في السر والعلن ، فهو المطلع على بواطننا ، كما يطلع على ظواهرنا ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨) ﴾ [ق : ١٦ – ١٨] .

أتعلم أيها الحبيب أنك مؤاخذ بما تتكلم به ، فكل ذلك يسطر عليك في كتاب تراه منشورًا عليك يوم القيامة ﴿ وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) ﴾ [الإسراء : ١٣ – ١٤] .

قد يخطر ببالك أيها الحبيب وتظن أنه باستطاعتك أنه تعترض على هذه الكتابة ولعلك تقول : أنا لم أفعل ، فما بالك لو أقام الله تعالى شهودًا عليك من نفسك ؟!! .

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥] .

عند ذلك تقول لجوارحك : ﴿ **وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)** ﴾ [فصلت : ٢١ – ٢٣] .

وكما قال سبحانه : ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)** ﴾ [آل عمران : ٣٠] .

فلتعلم أيها الحبيب :

أن الله يعلم ما نُسر وما نُعلن ، بل وما توسوس به النفوس ، فهو سبحانه أقرب للإنسان من أقرب شيء في الإنسان ، فهذا يدعوك إلى مراقبة خالقك في كل ما يصدر منك من قول أو فعل أو حركة أو سكنة ﴿ **أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (٨٠)** ﴾ [الزخرف : ٨٠] .

واسمع إلى قول ربك : ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (١٠) كِرَامًا كَاتِبِينَ (١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (١٢)** ﴾ [الانفطار : ١٠ – ١٢] .

فلتكرم ملائكة الرحمن الذين وكلهم الله بحفظ عملك ، وإياك أن تؤذيهم، فما يستحقون منك إلا أن يروا كل عمل صالح ، ولتخفى هذا القبيح عنهم ، فإنهم والله ليتأذون من ذلك ، فلتكرم عباد الله المكرمين .

ولتشهد قلبك مشهد علم الله المحيط ، فهو سبحانه قد أحاط بكل شيء علماً ، فلا يعزب عنه سبحانه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ويعلم ما يقر في البحر وما كان تحت الجبال ، وما تحت الأرض ، فهو يعلم ما يلج في

الأرض وما يخرج منها كما أنه سبحانه يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج منها .

فأنت تعامل ربًّا يعلم خائنة الأعين وما تُخفي هذه الصدور .

وانظر أيها الحبيب إلى لقمان عليه السلام وهو يعلِّم ولده كيف يراقب ربه في كل شيء حتى خواطره ﴿ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) ﴾ [لقمان : ١٦] .

فإذا علم الإنسان ذلك لأسرع في حراسة خواطره وإراداته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه لعلمه ويقينه أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه علانية بادية لا يخفى عليه منها شيء .

فسبحانه سبحانه ، ما أعظمه ، وما أرحمه ، وما أحلمه .

فلا إله إلا الله ، ولا رب لنا سواه نعبده ونتوكل عليه ، فهو نعم المولى ونعم النصير .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

إن الفتن في هذا الزمان قد كثرت وأصبح المسلم غريبًا بين الناس ، بل بين أهله ، بل أصبح المتمسك بدينه الصابر عليه في هذا الزمان كالقابض على الجمر بين يديه ، فما من سبيل للنجاة إلا بالثبات على دين الإسلام .

فجاءت هذه الوصية من النَّبيّ ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم ، يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا ، ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا** » (١) .

فأوصانا رسولنا الحبيب ﷺ أن نبادر بالأعمال الصالحة ، وأن نعمل ليوم القيامة ، حيث الحسرة والندامة .

تزود من الدنيا فإنك لا تدري ... إذا جن الليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر
وكم من فتى يمسي ويصبح لاهيًا ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري

فكان من رحمة الله تعالى بعباده أن بيَّن لنا في القرآن وعلى لسان نبيه ﷺ وفي سيرته العطرة وسائل كثيرة للثبات على دين الله منها :

الإقبال على القرآن العظيم :

« فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، من تمسك به عصمه الله ، ومن اتبعه

(١) رواه مسلم .

هُدى إلى صراط مستقيم » ، وقد بيَّن الله تعالى أن العمل بالقرآن من أعظم وسائل الثبات ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ .

[النساء : ٦٦] .

الاستعانة بالله عز وجل :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) ﴾ فمن أعانه الله فهو المُعان ، ومن خذله الله فهو المخذول ، فكان من دعاء الصالحين ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٠] .

الإيمان والعمل الصالح :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

مصاحبة الصالحين :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف : ٢٨] .

اتباع الطريق الصحيح وسلوك المنهج القويم :

﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣) ﴾ الأنعام : ١٥٣] .

وهذا الطريق لا يعرف إلا من خلال الوقوف على المنهج السليم والطريق القويم الذي سار فيه النَّبيّ ﷺ والصحابة من بعده .

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) ﴾ [النساء : ١١٥] .

التأمل في نعيم الجنة وعذاب النار وتذكر الموت :

ولنعلم أن الجنة حُفت بالمكاره والنار حفت بالشهوات .

اللهم نسألك الثبات على دينك واتباع هدي نبيك ﷺ وحُسن عبادتك وشكر نعمتك ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ [آل عمران : ٨] .





المجلس الخامس

الآيــــــة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) ﴾ [آل عمران : ١٩٠ – ١٩١] .

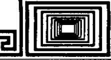
الحديــث :

قال رسول الله ﷺ : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف** »

[رواه الترمذي في صفة القيامة] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل فكرت يومًا في إيمانك هل تحسسته .

هل وقفت يومًا على ما يصدر منك من كلمات ، وهل أحصيتها ورأيت فيما تتكلم .

هل فكرت يومًا إن كنت من العقلاء ووقفت يومًا على العلاقة الدالة على ذلك .

فاستمع أيها الحبيب ، استمع إلى قول ربك لما وصف لنا العلامة التي يميز بها أولوا الألباب ، يميز بها أصحاب العقول الرشيدة الواعية .

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)** ﴾ .

[آل عمران : ١٩٠ – ١٩١].

أعلمت أيها الحبيب أن أولي الألباب أصحاب العقول السليمة هم الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض فيهتدون إلى معرفة ربهم سبحانه فيذكرونه ويشكرونه ، هم الذين يتفكرون في خلق السموات والأرض للحصول على المزيد من الإيمان والإيقان فيدفعهم ذلك إلى أن يلهجوا بذكر ربهم وشكره .

هم الذين يتفكرون في هذه الآيات الباهرات الدالة دلالة واضحة على الصانع وعظيم قدرته ، وباهر حكمته فيلازمون ذكر ربهم وشكره .

فهم لا يغفلون ولا يفترون عن ذكر الله ، بل هم كما استمعت أيها الحبيب يلازمون ذكر الله في الأحوال المعهودة التي لا يخلو عنها الإنسان غالبًا فهم يذكرون ربهم في كل حال من قيام أو قعود أو اضطجاع وحسبك ما قالوا :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

واعلم أيها الحبيب :

أنه لما حكى الله تعالى عن هؤلاء العباد المخلصين أن ألسنتهم مستغرقة بذكر الله تعالى وأبدانهم في طاعة الله تعالى وقلوبهم بالتفكر في دلائل عظمة الله تعالى ذكر أنهم مع هذه الطاعات يطلبون من الله أن يقيهم عذاب النار ، فهم تفكروا ثم نزهوا الرب سبحانه عن العبث وأن يخلق شيئًا بغير حكمة ثم طلبوا من ربهم أن يقيهم من عذابه ﴿ **وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ .

ومن ذلك نتعلم أيها الحبيب أدب العبد مع ربه عند دعائه وعند سؤاله ، وهذا نبينا وحبيبنا محمد ﷺ كان يعلِّم الصحابة كيف يكون أدب الدعاء وأدب سؤال الرب سبحانه ، فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يدعو في صلاته لم يمجد الله تعالى ، ولم يصلِّ على النَّبيّ ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : « **عجل هذا ثم دعاه ، فقال له أو لغيره : إذا صلَّ أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه ثم يصلِّ على النَّبيّ ﷺ ثم يدعو بما شاء** » [١] .

---

(١) أبو داود / ك الوتر / باب الدعاء .

واحذر أيها الحبيب :

احذر أن تكون ممن لا ينتفع بآيات ربه سبحانه تمر عليه دون أن تستوقفه أو يعمل الفكر ويتفكر في آلاء الله .

﴿ **وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ** (١٠٥) **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ** (١٠٦) ﴾[يوسف : ١٠٥ – ١٠٦] .

أيها الحبيب :

إن سبيلك لزيادة إيمانك وزيادة هذا اليقين في قلبك بكثرة التفكر والتأمل في آيات الله تعالى وكثرة تلاوتك لكتاب ربك مع وقوفك على المعاني الدالة على هذه الآيات، فربك يصف المؤمن: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** (٢) **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** (٣) **أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا** ﴾[الأنفال : ٢–٤] .

وانظر إلى عمل القرآن في قلوب عباد الله المخلصين :﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** (٢٣) ﴾ .

[الزمر : ٢٣] .

فعليك أيها الحبيب أن تزن بين الحين والحين ، هذا الإيمان الذي تحمله بين جنبيك وينبغي أن تتعاهده بالرعاية والصيانة ، وأن تستمر وتستديم على هذا الإيمان وحسبك من ذلك قول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ** ﴾[النساء : ١٣٦] .

وإياك أن يفتر لسانك عن ذكر ربك فإنه السبيل لسكون النفس وطمأنينة القلب ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾[الرعد : ٢٨].

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

اعلم أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله ، حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده .

فالجزاء من جنس العمل :

قال رسول الله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : «**يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلام وجفت الصحف** » (١) .

وهذا الحديث يتضمن وصايا عظيمة وقواعد كلية من أهم أمور الدين ، حتى قال بعض العلماء : تدبرت هذا الحديث فأدهشني وكدت أطيش ، فوأسفي من الجهل بهذا الحديث وقلة التفهم لمعناه .

أيها الحبيب :

إذا أردت أن يكون عليك من الله حافظ وأن يحفظ الله عليك دنياك ودينك، وأن يحفظك في بدنك وولدك وأهلك ومالك، وأن يحفظ عليك دينك وإيمانك، وأن يحفظك في حياتك من الشبهات المضلة ، ومن الشهوات المحرقة ويحفظ عليك دينك عند موتك فيتوفاك على الإيمان ، فعليك أن تحفظ حدود الله

---

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة .

وحقوقه وأوامره ونواهيه ، ذلك بالوقوف عند أوامره بالامتثال ، وعند نواهيه بالاجتناب ، وعند حدوده فلا تتجاوز ما أمر به وأذن فيه ، إلى ما نهى عنه فإن فعلت فأنت من الحافظين لحدود الله الذين مدحهم الله في كتابه : ﴿ **هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ (٣٣)** ﴾ . [ق : ٣٢ - ٣٣] .

ولذا نجد أن النَّبيّ ﷺ ما كان يدع هؤلاء الدعوات حين يمسي وحين يصبح: « **اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة ، اللهم إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي ، اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي ، واحفظني من بين يدي ومن خلفي ، وعن يميني وعن شمالي ، ومن فوقي ، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي** » .

واعلم أن من حفظ الله في صباه وقوَّته ، حفظه الله في حال كبره وضعفه ، ولذا قال بعض السلف : من اتقى الله فقد حفظ نفسه ، ومن ضيع تقواه فقد ضيّع نفسه ، والله غني عنه .

وكان قتادة يقول : « من يتق الله يكن معه ، ومن يكن الله معه فمعه الفئة التي لا تُغلب ، والحارس الذي لا ينام ، والهادي الذي لا يضل » .

ولتعلم أيها الحبيب :

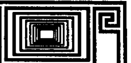
أن العبد إذا اتقى الله وحفظ حدوده وراعى حقوقه في حال رخائه ، فقد تعرف بذلك إلى الله وصار بينه وبين ربه معرفة خاصة ، فعرفه ربه في الشدة ، ورعى له تعرُّفه إليه في الرخاء ، فنجاه من الشدائد بهذه المعرفة ، وهذه معرفة خاصة تقتضي قرب العبد من ربه ومحبته له وإجابته لدعائه .

فمن عامل الله بالتقوى والطاعة في حال رخائه عامله الله باللطف والإعانة في

حال شدته ، ولتعلم أن أعظم الشدائد التي تنزل بالعبد في الدنيا الموت ، وما بعده أشد منه إن لم يكن مصير العبد إلى خير ، فالواجب على المؤمن الاستعداد للموت وما بعده في حال الصحة ، بالتقوى والأعمال الصالحة .

قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)** ﴾ [الحشر : ١٨ – ١٩] .





المجلس السادس

الآيــــة :

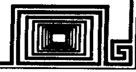
قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢) ﴾ [النحل : ١٧ – ٢٣] .

الحديـث :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال : « **من نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نَفَّسَ الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة ومن يَسَّر على مُعَسِّرٍ يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه** » .

[رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء] .





بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

لا يستقيم عبد على منهج الحق والخير وهو لا يؤمن باليوم الآخر ، يوم الجزاء على العمل في الحياة الدنيا ، فالتكذيب باليوم الآخر والبعث والجزاء هو سبب كل شرٍ وفساد يأتيه العبد .

والداء العضال الذي يحجب الإنسان عن قبول الحق والإذعان له هو الكبر .

أيها الحبيب :

الإنسان يحتاج أن يقتطع من وقته ويخلو فيه بنفسه ليتفكر ويتذكر نعم الله عليه ، فهذا دافع لتصحيح المسار ولشكر المنعم سبحانه على نعمائه .

ولقد نهبنا الله تعالى على كثرة نعمه علينا وعلى إحسانه وبره وجوده وكرمه فقال سبحانه : ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ (٢٢)** ﴾[النحل : ١٧ – ٢٣] .

فهذه أيها الحبيب مقارنة بين الحي الخلاق العليم ، وبين الآلهة المزعومة التي يعبدونها من دون الله ، ففيها تبكيت للمشركين وإبطال لإشراكهم بإنكار أن يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شيء من ذلك ، بل على إيجاد شيء ما ، وكان كذلك تنبيه الرحمن على كثرة نعمته وإحسانه بما لا يحصى ،

فلا يستطيع الإنسان ضبط عدد نِعْمَ الله ، وبالتالي لا طاقة للإنسان أن يقوم بحقها من أداء شكرها .

ولكن ربك غفور فهو يتجاوز سبحانه عن تقصير الإنسان في أداء شكر هذه النِّعْم،ومن إحسانه سبحانه أنه لا يقطعها عنه مع تفريط الإنسانَ في شُكر المُنعم.

ولكن عليك أيها الإنسان أن تبذل قصارى جهدك في شكر الله تعالى مع الاعتراف بالعجز عن القيام بأداء الشكر .

ولكن من شكرك لنعم ربك أن تصرف هذه النعم فيما من أجله أنعم الله بها، وإياك والاستكبار عن الحق وعن قبوله وعن الإذعان لهذا الحق ، فالله تعالى يبغض المستكبرين الذين يتكبرون عن آيات الرحمن ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** ﴾[الأعراف : ١٤٦] .

ولقد وصف الله لنا حالهم عندما يعالجون النزع الأخير ، قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** (٩٣) ﴾[الأنعام : ٩٣] .

وكفى بالاستكبار أن يكبَّ أهله على وجوههم في النار ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[غافر : ٦٠] .

فعليك أيها الحبيب أن تذكر وتتذاكر نعم الله عليك ثم تنظر كيف سبيلنا لأداء شكر المُنعم على نعمائه ، ولتعلم أن أعظم هذه النعم هي نعمة الإسلام .

﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا** ﴾ [المائدة : ٣] .

فهلا اعترفت لله تعالى بهذه النعمة ، وهل قمت بشكره سبحانه عليها ،

هذا يتطلب منك أن تكون مطبقًا لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) ﴾ [البقرة :٢٠٨] .

ويتطلب منك أن تستمسك بدينك وأن لا تموت إلا على الإسلام .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

وليكن إسلامك كإسلام إبراهيم عليه السلام :

فهذا إبراهيم الخليل عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام ، لما نادى الله عليه بالإسلام ، فما كان منه إلا الإستسلام والتسليم والانقياد والإذعان .

قال تعالى : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) ﴾ [البقرة : ١٣٠ – ١٣١] .

فتتعلم أيها الحبيب :

لتتعلم كيف تشكر ربك أن اصطفاك على الإسلام من غير حول منك ولا قوة ، ما كان ذلك إلا بنعمة الله علينا وتوفيقه أن هدانا سبيل الرشاد ، وهدانا إلى صراطه المستقيم ، لنكون مع هذه الرفقة الصالحة من النَّبيين والشهداء والصالحين ، وحسبك به رفقة .

« اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحُسن عبادتك » .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل أنت تسعى أن يُنَفْس عنك كرب الآخرة ؟ ، وهل تسعى أن يستر الله عليك عورتك في الدنيا والآخرة ؟ ، وهل تسعى أن ييسر الله عليك في الدنيا والآخرة ؟ ، وهل تسعى لتتلمس الطريق الموصل إلى الجنة ؟ ، أما فكرت أن ترتع في رياض الجنة ؟ ، إن قلت كيف السبيل ؟ ، فاعلم أن الجزاء من جنس العمل .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال : « **من نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نَفَّسَ الله عنه كربة من كُرب يوم القيامة ومن يَسَّرَ على مُعَسِّر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله به طريقًا إلى الجنة ، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه** » [١] .

والكربة هي الشدة العظيمة التي توقع صاحبها في الكرب وتنفيسها أي يخفف عنه منها ، ولقد ادخر الله لمن نَفَّسَ عن مؤمن كربة من كرب الدنيا كإطعامه على جوع ، سقاه على ظمأ ، كساه على عري ، قدم له ما أزال به كربه وفرَّج بها همه ، ادخر الله له جزاء تنفيس الكرب عنده لينفس به كرب الآخرة ، وحسبنا ما قاله النَّبيّ ﷺ : « **تُحشرون حفاة عراة غرلاً** » ، فقالت عائشة رضي الله عنها

(١) رواه مسلم ، كتاب الذكر والدعاء.

يا رسول الله ، الرجال والنساء ، ينظر بعضهم إلى بعض ؟ ، قال : « **الأمر أشد من أن يُهمهم ذلك** » .

وقال النَّبيّ ﷺ : « **يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا ، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم** » .

والسبب في هذا العرق أن الشمس تدنو من رؤسنا كما بين ذلك النَّبيّ ﷺ حيث قال : « **تدنوا الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين ، فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم ، فمنهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من يأخذه إلى حقويه . ومنهم من يلجمه إلجامًا** » .

أيها الحبيب :

لو قلت ما السبيل المعتبر في التيسير على المُعسر ، وكذا في ستر المسلم ؟ وما إذا كان يفرق في ذلك بين المسلم الذي كان مستورًا لا يُعرف بشيء من المعاصي ، ثم وقعت منه هفوة ، وبين من كان مشتهرًا بالمعاصي مُعلنًا بها لا يبالي بما ارتكب منها ولا بما قيل له ، وكذا ما السبيل لأن أكون في عون أخي حتى يكون الله في حاجتي .

قلنا لك أن السبيل إلى معرفة ذلك لا يكون إلا بالعلم النافع ، فالله سبحانه ييسر لطالب العلم إذا قصد بطلبه وجه الله تعالى والانتفاع به والعمل بمقتضاه ، فيكون سببًا لهدايته ولدخول الجنَّة بذلك ، فلا طريق إلى معرفة الله وإلى الوصول إلى رضوانه والفوز بقربه ومجاورته في الآخرة إلا العلم النافع الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه ، فهو الدليل عليه وبه يهتدي في ظلمات الجهل والشبه والشكوك ، ولهذا سمى الله كتابه نوراً لأنه يهتدي به في الظلمات .

قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ

رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦) ﴾ [المائدة : ١٦] .

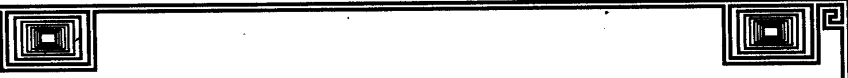
فلتسعى أخي الحبيب طالب العلم في تحصيل العلم قبل رفعه ، فما دام العلم باقيًا في الأرض ، فالناس في هدىً وبقاء العلم ببقاء حملته ، فإذا ذهب حملته ومن يقوم به وقع الناس في الضلال .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبضه بقبض العلماء ، فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جُهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا** » [١] .



---

(١) رواه البخاري / ك العلم ، ٢١٧ .



المجلس السابع

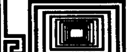
الآيـــــة :

قال الله تعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) ﴾ [الإسراء : ٧٨ - ٧٩] .

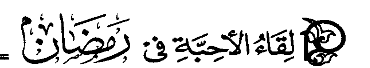
الحديـث :

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة** » [متفق عليه] .









أيها الحبيب :

لقد أرشدنا الله تعالى على أدوات تُعين الإنسان على كد الحياة ، وعلى دفع مكر الماكرين ، وعلى دفع المكروه .

وأرشدنا الله تعالى كذلك إلى الأوقات الفاضلة التي ينبغي ألا يغفل العبد عنها ولا يزهد فيها .

فكان أمر الله تعالى لرسوله ﷺ بإقامة الصلاة حيث أنها مأمن الخائفين ، ومنار السالكين ، ومعراج الأرواح إلى بلاد الأفراح ، وكان التأكيد على صلاة الفجر حيث شهود الملائكة وتعاقب ملائكة الليل والنهار في ذلك التوقيت ، فينبغي أن يكون إقبال العبد على عبادة ربه وعدم الانفكاك وعدم الزهد في الوقوف بين يدي الله تعالى خاصة بالليل ، فإن المنازل لا تطلب إلا بمكابدة الليل.

قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا (٧٩) ﴾ [الإسراء : ٧٨ – ٧٩] .

فأمرنا الله تعالى بإقامة الصلاة في كل وقت من الصباح إلى المساء من اليقظة إلى المنام ، وهي سبيل الإنسان في دفع كيد الأعداء والعصمة من مكرهم .

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦) ﴾ [البقرة : ٤٥ – ٤٦] .

وقال سبحانه لرسوله ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ

طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [طه : ١٣٠] .

ولقد أمرنا الله تعالى أن نحافظ على الصلاة وأن نؤديها في أوقاتها ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ ﴾ البقرة : ٢٣٨] .

وكان النَّبيّ ﷺ إذا حزبه أمر قام فصلى .

ولتعلم أيها الحبيب : أن أفضل الصلاة بعد المكتوبة هي قيام الليل ، لذا كان خطاب الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [الإسراء : ٧٩] .

وكان النَّبيّ ﷺ إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل قال : « **اللهم لك الحمد ، أنت نور السموات والأرض ، ولك الحمد أنت قيّام السموات والأرض ، ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، أنت الحق وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنّار حق ، والساعة حق ، اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لي ما قدمت وأخرت ،وأسررت وأعلنت ،أنت إلهي ،لا إله إلا أنت** »(١) .

وكذلك أيها الحبيب :

كان النَّبيّ ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل بقوله : « **اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم** » (٢) .

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .

ولتعلم أيها الحبيب أن النَّبيّ ﷺ بيَّن لنا فضيلة قيام الليل ، فقال ﷺ : **«أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل »** .

وقال ﷺ : « **عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم** » (١) .

بل انظر أيها الحبيب إلى ترحم النَّبيّ ﷺ على رجل أيقظ أهله ليصليا ليلاً، فقال ﷺ : « **إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين جميعًا كُتِبَا من الذاكرين والذاكرات** » .

ولتعلم أيها الحبيب أنه ينبغي عليك أن تغتنم من ساعات الليل ، فقال رسول الله ﷺ : « **إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة** » (٢) .

وحسبك من ذلك فعل نبيك ﷺ ، فإنه كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه ، فقالت له عائشة : لِمَ تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، قال : « **أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً** » (٣) .

فاغتنم أيها الحبيب : وإياك أن تدع يومًا تطوى صفحاته ولم يكن سُطِّر لك فيه قيام ليل حتى لو كان ذلك بركعتين خفيفتين تقرأ فيهما ما يسر الله لك من كتابه ، وكفاك بذلك شرفًا أن الله أقامك في هذه الساعة بين يديه تناجيه وهو سبحانه يسمعك ويرى مكانك .

واغتنم أيها الحبيب : إن كان لك حاجة عند ربك فقم في الثلث الأخير من الليل ، حيث النزول الإلهي إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله سبحانه ، وربك

(١) رواه الترمذي .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخاري ومسلم .

يدعو وينادي على صاحب الحاجات والطلبات ، هل من مستغفر فاغفر له ، هل من داعٍ فأستجيب له ، هل من سائل فأعطيه وذلك حتى طلوع الفجر ، فإياك والغفلة فربك لا يغفل ولا ينام سبحانه سبحانه .

فلا إله لنا غيره ، ولا رب لنا سواه نعبده وندعوه ونتوكل عليه ، فهو حسبنا ونِعْمَ الوكيل .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

أما تعلم أنه يلزمك في كل يوم أن تتصدق بستين وثلاثمائة صدقة ، أما تعلم أنك بأدائك لهذه الصدقات أنك تزحزح عن النار ، قد تقول ومن يطيق ذلك فأنا لا أملك ما أتصدق به .

قلنا لك : أبشر فقد يسر لك الحبيب محمد ﷺ ذلك ، فعن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل سلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين اثنين صدقة ، وتعين الرجل على دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة** » (١) .

والإنسان أيها الأخ الحبيب مُرَكَّب على ستين وثلاثمائة مفصل ، كما وضح ذلك النَّبيّ ﷺ « **خُلِقَ كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل ، فمن كبَّرَ الله وحمد الله وهلل الله وسبَّح الله ، واستغفر الله ، وعزل حجراً عن طريق الناس أو شوكة أو عظماً عن طريق الناس ، وأمر بمعروف ، أو نهى عن منكر ، عدد تلك الستين والثلاثمائة السُّلامى ، فإنه يمشي يومئذٍ وقد زحزح نفسه عن النَّار** » (٢) .

فالله سبحانه أنعم على عباده بما لا يحصونه من النعم ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ**

---

(١) خ / ك الجهاد ، باب من أخذ بالركاب ونحوه ، م / ك . الزكاة ، باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

(٢) م/ ك الزكاة / باب اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف .

لا تُحْصُوهَا ﴾ وطلب منهم الشكر ورضي به منهم ، وشكر النعم أن لا يُستعان بشيء من النعم على معصية . اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك .

وإليك أيها الأخ الحبيب مجالات وطرق للخير كثيرة فلا يبقى إلا أن نغترف منها :

- المشي بحقوق الآدميين الواجبة إليهم .
- إنظار المعسر .
- الإحسان إلى البهائم .
- الصلاة والسلام على النّبيّ محمد ﷺ .
- قراءة القرآن .
- المشي إلى المساجد والجلوس فيها لانتظار الصلاة .
- التواضع في اللباس والمشي والهدي .
- اكتساب الحلال .
- محاسبة النفس على ما سلف من أعمالها .
- الندم والتوبة من الذنوب السالفة .
- البكاء من خشية الله تعالى .
- التفكر في ملكوت السموات والأرض،وفي أمور الآخرة وما فيها من الوعد والوعيد .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ .

[الحديد : ١٦] .

وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إليه ، إني بأرض قد كثرت فيها النعم حتى لقد أشفقت على أهلها من ضعف الشكر .

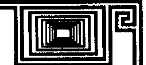
فكتب إليه عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ : إني قد كنت أراك أعلم بالله مما أنت ـ إن الله لم ينعم على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه ، لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل : ١٥] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر : ٧٢ – ٧٤] .

وأي نعمة أفضل من دخول الجنة .

اللهم أنعم علينا بلسان ذاكرٍ وبقلبٍ شاكرٍ ، وأدخلنا دارك دار السلام بآمان ، اللهم آمين .





المجلس الثامن

الآية :

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٢٣) ﴾ [الزمر : ٢٣] .

الحديث :

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إنما الأعمال بالنِّيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » [متفق عليه] .






بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل سرت قشعريرة في بدنك وأنت تقرأ أو تسمع لآيات الله ؟! .
- هل أحسست بخفقان واضطراب في قلبك وأنت تنصت إلى آيات الله ؟ .
- هل شعرت برقة ولين في قلبك إثر استماعك لكلام الله ؟ .
- هل شعرت بسكينة سرت في أعضائك بعد قراءتك للقرآن ؟ .

فيا أيها الحبيب ، لقد وصف الله لنا المؤمنين وحالهم عند استماعهم لكلام ربهم سبحانه وتعالى ، هذا الكلام الذي تكلم به الملك ، فقال سبحانه : ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ** (٢٣) ﴾ [الزمر : ٢٣] .

لقد اقشعرت جلود الذين يخشون ربهم عند سماع آيات الوعيد ، وما توعد الله به المكذبين والضالين ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إذا سمعوا آيات الوعد وتطمئن قلوبهم إذا سمعوا حججه وأدلته .

ولتعلم أيها الحبيب أن هذا الأمر يحتاج إلى العناية بالقلب حتى يؤهل لكي يستمع إلى آيات الله تعالى ، ثم ينتفع بها ، ولقد بين لنا النَّبيّ ﷺ أن قلوب العباد على قلبين ، قلب تشرَّب بالفتن فأصبح مظلمًا ، وقلب نُوِّر بطاعة الله تعالى واطمأن بذكر ربه ، فقال رسول الله ﷺ : « **تُعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا ، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب**

أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض ، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا ، لا يعرف معروفًا ، ولا ينكر منكرًا إلا ما أُشرب من هواه » [١] .

ولذا كان إرشاد النَّبيّ ﷺ لصيانة القلب وأن ننقيه من كل ما يعلق به من هذه الشوائب التي إذا علقت به حجبت عنه المعرفة ، فقال رسول الله ﷺ : « **ألا إن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » [٢] .

والله تعالى قد استبطأ منا العودة فنادى وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) ﴾ [الحديد : ١٦] .

ولتعلم أيها الحبيب أن الجمادات بل الراسيات لا تستطيع أن تتحمل لو قُرأ عليها القرآن ، بل تراها متصدعة ، فما بال قلب لا يتصدع كتصدع هذه الراسيات إذا نزل عليه القرآن ، قال تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) ﴾ .

[الحشر : ٢١] .

فهذا كتاب الله تعالى بين أيدينا تكفل الله بحفظه لنا ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) ﴾ [الحجر : ٩] .

وقال تعالى : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت : ٤٢] .

فعليك أيها الحبيب أن يتعلق قلبك وبدنك وجميع جوارحك بكتاب الله

---

(١) رواه مسلم .

(٢) رواه البخاري .

تعالى ، تلاوة وفهمًا وعملاً ، ويكفيك من ذلك قول نبيك ﷺ : « **من قرأ القرآن وعمل به ، ألبس والده تاجًا يوم القيامة ، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا** » ، فما ظنكم بمن عمل به ؟! .

فقم واقرأ وتدبر وتأمل واعمل ، فربك بصير .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

ما من إنسان يحيا على ظهر الأرض إلا وله غاية وهدف ، يسعى إلى تحقيقه وإيجاده لأن في نظره أن تحقيق هذا الهدف يحقق له السعادة ، ولا خلاف بين الناس في أن المطلوب الذين يرمون إلى تحقيقه وإيجاده هو السعادة ، فمن أجل السعادة ينطلق الناس في مساعيهم وأعمالهم يومًا وراء يوم ، وشهرًا وراء شهر ، عامًا وراء عام ، فالناس اتفقوا على هذا المذهب إلا أنهم اختلفوا اختلافًا كبيرًا في تحديد السعادة التي ينبغي أن يقصدها الإنسان ويسعى إلى تحقيقها في واقع الحياة .

وقد بيَّن لنا النَّبيّ ﷺ وجهة الناس التي يتجهون إليها بأعمالهم ، إما أن يكون مقصدة مرضاة الله تعالى ، وإما أن يصيب من الدنيا .

فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنِّيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » (١) .

فالغاية التي يرجوها المسلم من وراء أفعاله هي المعيار الذي يقوّم به عمله ، فالأعمال تصبح ذات قيمة أو تفقد قيمتها باعتبار الغاية التي يرمي إليها العامل من عمله ، فالذي يصلي ابتغاء مرضاة الله تعالى عمله أفضل الأعمال ، والذي

(١) البخاري ، ك بدء الوحي ، باب : كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ .

يصلي لينال شرفًا ومكانة عند الناس عمله شر الأعمال ، والذي يهاجر استجابة لأمر الله تعالى ونصرة لدين الله عمله في المرتبة العُليا ، والذي يهاجر طلبًا لنفع دنيوي ، مالاً يجوزه أو امرأة يتزوجها ، عمله باطل مضمحل .

قال تعالى : ﴿ **مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩)** ﴾ [الإسراء : ١٨ – ١٩] .

سبب اختلاف الناس في تحديد الغاية هو الجهل ، وهذا الجهل عائد إلى قلة العلم بحقائق الأمور بواطنها وقلة العلم بالعواقب والنتائج ، لأن نظرة الإنسان نظرة محكومة بالدنيا لا تتجاوزها إلى ما وراءها ، لقصور علم الإنسان في هذا ، إذا اعتمد على نفسه ، لأن ما وراء الحياة الدنيا غيب لا يدركه الإنسان .

وتقترن بالجهل ظلم النفس وطغيانها ، فالنفوس بما حُبِّب إليها من الملذات العاجلة المرئية تتعامى عن الخير الحقيقي الذي يجب أن تقصده .

■ ﴿ **بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ (١٧)** ﴾ .

[الأعلى : ١٦ – ١٧] .

■ ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ (٦) أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ (٧)** ﴾ [العلق : ٦ – ٧] .

من أجل ذلك آثر كثيرون النفع المادي والشهوات العاجلة في الدنيا التي تروي أهواء النفوس ، وتركوا الآخرة وراءهم ظهريًا ، لأنها تحتاج إلى بذل من الجهد متواصل ، ومخالفة لأهواء النفوس .

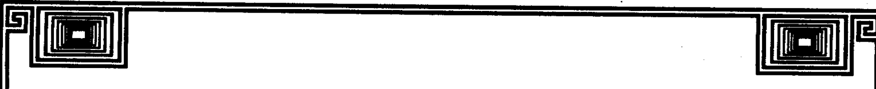
ونقول : لا غنى للبشرية عن الغاية التي يرسمها الإسلام ، فلقد وضَّح الإسلام الغاية التي ينبغي أن يسعى الإنسان إلى تحقيقها وبيان الأسباب التي تدعو إلى ذلك والنتائج الخيرة التي ينالها الإنسان من وراء هذا وتوضيح العواقب

السيئة والآثار البالغة الخطورة المترتبة على التوجه إلى غير الغاية التي رسمها ، وعندما نطالع النصوص من الكتاب والسُّنَّة ندرك مدى العناية بإيضاح الغاية وتجليتها والكشف عن أبعادها .

فلم يبق إلا أن نعطي أنفسنا الفرصة لكي تنظر إلى كتاب ربها ، وسُنَّة نبيها ﷺ .



المجلس التاسع



الآيــــة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٦] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **ما ملأ أدمي وعاءً شراً من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثُلثٌ لطعامه ، وثُلثٌ لشرابه ، وثُلثٌ لنفسه** » [رواه الترمذي] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل حاولت مرة أن تختبر ما عندك من إيمان ؟ .
- هل حاولت مرة أن تتعرف على المعايير والأُسس التي يُعرف بها أهل الإيمان؟ .
- هل انشغلت يومًا بهذا الأمر ؟ .

فتعلم أيها الحبيب : أن الإيمان ليس كلمة يجريها الإنسان على قلبه ولسانه دون أن يكون لها صدى في حياة الإنسان ، ولا مظهر لها على أركانه وجوارحه .

ولكن الإيمان ما وقر في قلبك وصدقه العمل ، ولتسمع إلى قول ربك : ﴿ **إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)** ﴾[السجدة : ١٥ - ١٦] .

فهذه علامة من علامات الإيمان ، من العلامات التي نقيس على أساسها صدق العبد في إيمانه بربه ، ففيها بيان أن من علامات الإيمان الصادقة سرعة قبولهم للحق تواضعًا وخشوعًا وشكرًا لربهم على ما رزقهم من نعمة الإسلام ، وكيف تراهم ينقادون لآيات ربهم ولا يستكبرون عن عبادته ، ولا عن قبول الحق والانقياد له ، وكان من علامة قبولهم لهذا الحق أنهم ضحوا بوقت راحتهم وقاموا في جوف الليل بين يدي الملك ، يسبِّحونه ويحمدونه ويمجدونه ويشكرونه على نعمة الإسلام ، ويرجون رحمته ويخافون عذابه .

فإنهم والله مع طاعتهم لله تعالى ولكنهم يشفقون على أنفسهم من عذاب

ربهم ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) ﴾ [النور : ٣٧] ، ويقولون : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) ﴾ [الإنسان : ١٠] .

يتقربون إلى ربهم بكل طاعة ويبتعدون عن كل معصية ، ومع ذلك لهم قلوبٌ وجلة خائفة من عذاب ربها كما وصفهم سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) ﴾ [المؤمنون : ٥٧-٦١] .

فلتسعى أيها الحبيب أن تكون من المؤمنين الذين من حالهم : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [الأنفال : ٢-٤] .

فكن من هؤلاء الذين يتاجرون مع ربهم ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠) ﴾ [فاطر : ٢٩-٣٠] .

واحذر أيها الحبيب : واحذر أن تستكبر عن عبادة ربك ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر : ٦٠] .

فلتُلِيِّن قلبك بذكر ربك والإقبال على كتابه فهو رسائل الله إلى عباده ، ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد : ٢٨] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

إن الإنسان يحتاج دومًا بين الحين والحين ، أن يقف مع عاداته ومألوفاته ليعيد تقييمها مرة أخرى ، وليطمئن أنه لم يخرج بعد عن أدب الشرع ولم يتعدى الحدود التي رسمها لنا الشارع في كيفية استيفاء الإنسان لحاجاته ومنها الطعام .

ويكفيك أيها الحبيب أن تسمع بكل جوارحك لكلام نبينا ﷺ الذي قال : « **ما ملأ أدمي وعاءً شرًا من بطنه ، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثُلثٌ لطعامه ، وثُلثٌ لشرابه ، وثُلثٌ لنفسه** » [١] .

أيها الحبيب :

إن شهوة البطن قد ملأت حياة الناس حتى لم يصبح لهم شغل شاغل إلا الطعام ، والتفنن في إخراج وجبات جديدة شهية يسيل لها اللعاب ، فمما لا شك فيه أن شهوة البطن لا يستغنى عنها بشر ولا ينفك عنها صغيرًا أو كبيرًا ، لأن حاجة الإنسان للطعام والشراب أساسية لأن بها قوام الحياة ، ولذا قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ** ﴿٥١﴾ ﴾ .

[المؤمنون : ٥١] .

وقال أيضًا سبحانه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ** ﴿١٧٢﴾ ﴾[البقرة : ١٧٢] .

فالله تعالى أباح لنا هذه الطيبات لتكون عونًا لنا على طاعته سبحانه ولتقوية

---

(١) رواه الترمذي .

هذه الأبدان لكي نستطيع القيام بالأعمال الصالحة .

والطعام والشراب من نعم الله على عباده ، لذا قال النَّبيّ ﷺ : « **إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها** » [١] .

ولكن انتبه أيها الحبيب ، فلقد أرشدنا الله تعالى إلى الاعتدال في الطعام والشراب لئلا يؤدي ذلك إلى تسلط شهوة البطن ، فقال سبحانه : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١) ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال ﷺ : « **كلوا واشربوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة** » .

فهذا الحديث الذي بين أيدينا هو بيان للمنهج النبوي ، هذا المنهج السوي الذي ينبغي التمسك به في الإقلال من الطعام والشراب وعدم الإسراف في شهوة البطن ، ولقد قال النَّبيّ ﷺ : « **شرار أُمَّتي الذين غذوا بالنعيم ، يأكلون ألوان الطعام ، ويلبسون ألوان الثياب ، ويتشدقون في الكلام** » .

ولذا نبه النَّبيّ ﷺ على حال المؤمن من الطعام فقال ﷺ : « **حسب ابن آدم لقيمات يُقمن صُلبه** » .

وقال ﷺ مبيِّنًا هذا الفارق بين المؤمن وبين الفاجر في شهوة البطن : « **المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء** » .

فالمقصود : أن المؤمن يأكل بأدب الشرع ، فيأكل في معيٍ واحد ، أما الكافر والفاجر فيأكل بمقتضى الشهوة والشره والنَّهم ، فيأكل في سبعة أمعاء .

ولهذا وصف الله تعالى الكافرين فقال سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) ﴾ [محمد : ١٢] ، حيث تحول

---

(١) رواه مسلم .

الطعام من وسيلة إلى غاية حتى يصبح الإنسان كالبهائم التي تسيرها شهواتها .

ولقد ذم الله تعالى من اتبع الشهوات فقال سبحانه ﴿ **فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا (٥٩) إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا (٦٠)** ﴾[مريم : ٥٩ - ٦٠] .

ولقد خشي النَّبيّ ﷺ أن تغرق أُمَّته من جهة شهوة البطن ، فقال ﷺ : « **إن أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى** »[١] .

واسمع إلى كلام من غرتهم الدنيا :

إنما الدنيا طعام	وشراب ومنام
فإذا فاتك هذا	فعلى الدنيا السلام

ولك أيها الحبيب :

أن تنظر كيف تحولت المناسبات لدينا إلى مناسبات طعام وشراب حتى كان طغيان هذه الشهوة في شهر العبادة شهر الصيام شهر رمضان ، كيف تملأ الموائد بكل أنواع المشهيات والمأكولات ، وكيف تم إطلاق العنان لشهوة البطن .

وترى ذلك أيضًا جليًا فيما تعارف عليه الناس ويسمونه بالمناسبات الدينية كليلة الإسراء والمعراج ، والمولد النَّبوي ، ورأس السنة الهجرية ، وليلة النصف من شعبان ، وترى عندهم حرص شديد على إحياء هذه المناسبات وهم والله في حقيقة الأمر لا يحتفلون إلا بأنفسهم وببطونهم ، ألا تراهم كيف يحتفلون في هذه الأيام بالطعام والحلوى، فهم الذين ذبحو السُّنَّة على أعتاب بيوتهم ثم قالوا: هيا بنا فلنأكل الحلوى !! .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

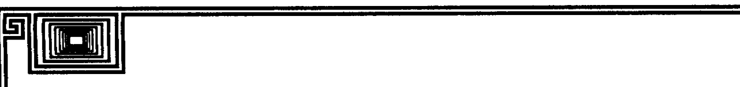
ولك أن تنظر إلى صحابة النَّبيّ ﷺ ، فهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال له رجل : ألا أجيئك بجوارش ؟ ، فقال : وأي شيء هو ؟ ، قال : شيء يهضم الطعام إذا أكلته ، قال : ما شبعت منذ أربعة أشهر، وليس ذاك أني لا أقدر عليه ، ولكن أدركت قومًا يجوعون أكثر مما يشبعون .

فكم نحتاج إلى مثل هذه النصائح والإرشادات ممن تعلموا من مدرسة النَّبيّ ﷺ .

فتذكر أيها الحبيب :

أن الطعام وسيلة نتقوى من خلاله على طاعة الله ، فإياك أن تحوله إلى غاية ، ويكون همك أن تنتقل من طعام إلى آخر تحقق شهوة البطن ، « **فما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه** » .





المجلس العاشـــــر

الآيــــة :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) ﴾ [لقمان : ٢٢] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » [مسند الإمام أحمد] .





بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب :

- هل أنت مُقبل على ربك بوجهك وقلبك ؟ .
- هل أحسست يديك فرأيتها قد أمسكت بالعروة الوثقى .
- هل نظرت إلى حالك فرأيتك أخلصت عملك لله وانقدت لأوامره واتبعت شرعه.

فيا أيها الحبيب :

إن سبيل العبد لكي يستمسك بالعروة الوثقى ويتعلق بأوثق ما يتعلق به من الأسباب له مقدمات لابد من الحصول عليها ، وإلا كان سراب قد أمسكت به ، كحال القابض على الماء .

ولتسمع إلى قول ربك ﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ (٢٢) ﴾ [لقمان : ٢٢] .

فما عليك أيها الحبيب إلا أن تعتصم بكتاب ربك وبسُنَّة نبيه ﷺ ، وأن تسلم لشرع الله تعالى وتنقاد له ، فهذه هي العروة الوثقى المنجية من الهلاك .

وسبيلك لذلك أن تكون من المحسنين كما قال سبحانه وتعالى :

- ﴿ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [القصص : ٧٧] .
- ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

فينبغي أن تكون محسنًا في أعمالك وفي أقوالك وفي أداء عبادتك ، ويكفيك أن النَّبيّ ﷺ قال : « **إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته**

وليرح ذبيحته » .

إن كان الإنسان مطالب بالإحسان مع الحيوان الذي سخره الله تعالى للإنسان ولأكل لحمه ، ومع ذلك المطلوب أن تُحسن وأنت تتعامل معه حتى لو كان مجبولاً ومخلوقًا لذلك .

ولتعلم أيها الحبيب :

أن معية الله الخاصة تكون مع المحسنين فهي معية تأييد ونصرة وحفظ من الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل : ١٢٨] .

وكان من أخلاق المحسن كظم الغيظ والعفو عن الناس :

- ﴿ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ .

[آل عمران : ١٣٤] .

- ﴿ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [المائدة : ١٣] .

والجزاء أيها الحبيب من جنس عملك :

- ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .
- ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [هود : ١١٥] .

ولا ينتفع بآيات الله إلا المحسنين :

- ﴿ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ .

[لقمان : ٢-٣] .

ويوم القيامة ينادي عليهم :

- ﴿ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المرسلات : ٤٤] .

فعليك أيها الحبيب :

- أن تلتزم الإحسان في كل شأن من شئون حياتك .

- أن تكون محسنًا مع الوالدين والأرحام .
- أن تكون محسنًا مع زوجك وأولادك .
- أ ن تكون محسنًا في معاملة الخلق ومعاشرتهم .
- أن تكون محسنًا في أداء العبادات .
- أن تكون محسنًا في ترك المحرمات والانتهاء عنها وترك ظاهرها وباطنها.

وتذكر : ﴿ **وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ** ﴾ [القصص : ٧٧] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تنفعُ الْمُؤْمنِينَ ﴾

أيها الحبيب :

ما ظنك بذئب جائع سُلط على قطيع من الغنم غاب عنها راعيها ، أتراه يُفسدها ويمزقها أم يتركها لحالها ويمضي ؟! .

فلتسمع إلى حبيبك المصطفى ﷺ وهو يضرب لنا هذا المثل لنتعلم كيف نصون الدين من التمزق قبل أن يهجم عليه ما يمزقه من مال وسلطان .

خرَّج الإمام أحمد والنسائي والترمذي وابن حبان في صحيحه من حديث كعب بن مالك الأنصاري رضي الله عنه ، عن النَّبيّ ﷺ قال : « **ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** » .

فهذا مَثَل عظيم جداً ضربه النَّبيّ ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا ، فقد أخبر النَّبيّ ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساد لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم، بل إما أن يكون مساويًا وإما أكثر.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدينا :

ولا تحسبن الفقر من فقد الغنى ولكن فقد الدين من أعظم الفقر

كتب بعض الحكماء إلى أخٍ له ـ كان حريصًا على الدنيا ـ :

أما بعد : فإنك أصبحت حريصًا على الدنيا تخدمها وهي تخرجك عن نفسها بالإعراض والأمراض والآفات والعلل ، كأنك لم ترَ حريصًا محرومًا وزاهدًا

مرزوقًا ، ولا ميتًا عن كثير ، ولا متبلغًا من الدنيا باليسير .

قال البعض :

الحرص داء قد أضر بمن ترى إلا قليلاً
كم من حريص طامع والحرص صيره ذليلاً

حرص المرء على الشرف أشد هلاكًا من الحرص على المال ، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرياسة على الناس والعلو في الأرض أضر على العبد من طلب المال .

فضرره أعظم والزهد فيه أصعب ، فإن المال يبذل في طلب الرياسة والشرف، وقل من يحرص على رياسة الدنيا بطلب الولايات فيوفق بل يوكل إلى نفسه ، كما قال النَّبيّ ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه : « **يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وُكِلْت إليها ، وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها** » .

إلا إنما التقوى هى العز والكرم وحبك للدنيا هو الذل والسقم
وليس على عبد تقي نقيض إذا حقق التقوى وإن حاك وحجم

كتب وهب بن منبه إلى مكحول :

أما بعد : فإنك أصبت بظاهر علمك عند الناس شرفًا ومنزلة فاطلب بباطن علمك عند الله منزلة وزلفى ، واعلم أن إحدى المنزلتين تمنع من الأخرى » .

أمران مفترقان لست تراهما يتشوفان لخلطة وتلاق
طلب المعاد مع الرياسة والعُلى فدع الذي يفنى لما هو باق

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيّ ﷺ قال : « **إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة ، فنعم المرضعة ، وبئست الفاطمة** » .

والحرص على الشرف يستلزم حرصًا عظيمًا قبل وقوعه في السعى في أسبابه وبعد وقوعه بالحرص العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والتكبر وغير ذلك من المفاسد ، ومن هذا الباب أنه يحب ذو الشرف والولاية أن يحمد على أفعاله ويثنى عليه بها ، وهذا عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ كتب في كتابه : ولا تحمدوا على ذلك كله إلا الله فإنه لو وكلني إلى نفسي كنت كغيري .

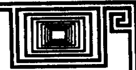
واعلم أن النفس تحب الرفعة والعلو على أبناء جنسها ولكن العاقل ينافس في العلو الدائم الباقي الذي فيه رضوان الله وقربه وجواره ، ويرغب عن العلو الفاني الزائل الذي يعقبه غضب الله وسخطه وانحطاط العبد وسفوله وبعده عن الله سبحانه وطرده عنه .

وختامًا أيها الحبيب :

إليك هذا الأمر الجامع ، فهو سبيلك للفلاح والسعادة في الدارين .

قال النَّبيّ ﷺ : « **قد أفلح من هدي إلى الإسلام ورُزِقَ كفافًا وقنَّعه الله** » .





المجلس الحادي عشـــر

الآيــــة :

قال الله تعالى : ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ** (٧٧) ﴾ [القصص : ٧٧] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **اتقِ المحارم تكن أعبد الناس ، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ، ولا تُكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب** » . [رواه الترمذي ، كتاب الزهد] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

ما ظنك بربك أخلقنا للطعام والشرب والملبس والمسكن، أتراه خلقنا للدنيا أم خلقنا لكي نتزاحم ونتنافس على أمر الدنيا،وهل أعطاك الله المال لكي تستمتع به في طلب الدنيا وملذاتها،أم تراه أعطاك الله هذا المال لكي تشتري به الجنَّة ؟! .

أيها الحبيب : المطلوب منك أن تعامل الآخرة معاملتك للدنيا ، ولك أن تستمتع وتنصت إلى قول ربك العزيز الوهاب ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) ﴾[القصص : ٧٧] .

فعليك أيها الحبيب :

عليك أن تطلب الدار الآخرة بما أتاك الله من أموال بأن تتصدق منها ولتنفق منها في سبيل الله وتطلب ذلك في وكل وجه من أوجه الإحسان والبر،فلقد نادى الله علينا بنداء الإيمان فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴾[البقرة :٢٥٤] .

بل واستمع إلى تحذير ربك قبل أن تتفلت منا الدنيا أو نفتلت نحن من الدنيا أتدري ماذا يقول الإنسان عند المعاينة ، عندما ينزل به الموت ويرى ملائكة ربك الذين وكلهم الله بقبض الأرواح: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾ [المنافقون : ١٠] .

أتدري ما يقال له عند هذا الموقف ، أتراه يُجاب إلى مطلبه ؟! ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ [المنافقون : ١١] .

فلتسارع ولتبادر في طلب الآخرة وأن تطلبها من خلال ما منحك الله من أموال فلتبادر إلى فعل الخيرات ، فهذا زادك في الآخرة ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) ﴾ [الإنسان : ٨ - ١٠] .

وقال سبحانه : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

واعلم أيها الحبيب :

أن ربك الغني الحميد لم يأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعًا ، بل أنفق لآخرتك واستمتع بدنياك استمتاعًا لا يثلم دينك ولا يضر بآخرتك ، فكل واشرب واركب واسكن ، ولكن في غير إسراف ولا مخيلة ، ولتحسن في عبادة ربك وطاعته ولتحسن إلى عباده بالقول والعمل ولتعلم أن لربك عليك حقًا ولنفسك عليك حقًا ولأهلك عليك حقًا ولزورك عليك حقًا ، فأتِ كل ذي حق حقه .

وكن أيها الحبيب :

كن من هذه الطائفة التي لم تشغلها الدنيا عن طلب الآخرة ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) ﴾ [النور : ٣٧] .

ولتسعى أن تطلب ما عند ربك فخزائنه سبحانه لا تنفد ﴿ قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [الجمعة : ١١] .

أيها الحبيب :

سبيلك لكي تكون من المحسنين أن تحسن في عبادة ربك وطاعته ، ولتحسن مع نفسك ، ولتحسن مع المخلوقين ، وسبيلك لتحقيق ذلك أن تنصت لهذه النصيحة الغالية التي أداها النَّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حيث قال : « **اتقِ الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحوها ، وخالق الناس بخلق حسن** » .

وإياك ثم إياك :

إياك أن تبغي الفساد في الأرض وذلك بالتكبُّر على طاعة ربك والعمل بالمعاصي والاشتغال بالنعم عن المُنعم .

فلا تكن همتك بما أنت فيه أن تُفسد في الأرض وتُسيء إلى خلق الله .

وإياك ثم إياك :

إياك أن تبغي الفساد في الأرض بترك الواجبات وارتكاب المحرمات فربك سبحانه لا يحب المفسدين ولا يحب الفساد ، فاحذر من بطش ربك وغضبه ، فإن أخذ ربك أليم شديد .

اللهم أجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، واختم لنا يا ربنا بالباقيات الصالحات أعمالنا .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

ما أجمل وما أطيب حُسن الخُلُق ولا يجد الرجل أفضل من حُسن الخُلُق لكي يتجمل ويتزين به ، ولا سبيل للإنسان ليبلغ حقيقة الإيمان إلا من خلال هذا السبيل ألا وهو حُسْن الخُلُق .

وإليك أيها الحبيب :

هذه الكلمات التي قال النَّبيّ ﷺ عنها من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يُعلِّم من يعمل بهن ؟ .

أتدري ما هذه الكلمات ؟ .

قال رسول الله ﷺ : « **اتقِ المحارم تكن أعبد الناس ، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا ، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ، ولا تُكثر الضحك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب** » .
[رواه الترمذي ، كتاب الزهد] .

فكانت الوصية الأولى : اتقِ المحارم تكن أعبد الناس :

فاحذر الوقوع فيما حرَّم الله عليك وهذا يتطلب منك أن تعرف وتقف ، ما هي المحرمات التي حرَّمها الله علينا حتى نتقيها ولا نقع فيها ، وخاصة والنَّبيّ ﷺ يبين أن ثمرة ذلك تحقيق الإنسان للعبودية بل ويكون من أعبد الناس لأنه يلزم من ترك المحارم فعل الفرائض .

ولذا كان حذيفة رضي الله عنه يقول كان الناس يسألون النَّبيّ ﷺ عن الخير وكنت

أسأله عن الشر مخافة أن يدركني .

لأنه يعلم لو علم الشر فابتعد عنه للزم من ذلك إقدامه وفعله لما يحب الله ويرضى .

الوصية الثانية : ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس :

فالإنسان لو قنع بما قسم الله له ولم يطمع فيما في أيدي الناس لا ستغنى عنهم ، ولذا قال النَّبيّ ﷺ : « **ليس الغني عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس** » .

وكان يقول ﷺ في دعائه : « **اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى** » .

وإليك أيها الحبيب ما قال النَّبيّ ﷺ عن السعادة والفلاح في الدارين لمن أعطاه الله : « **قد أفلح من هدى إلى الإسلام ، ورزق كفافًا وقنَّعه الله** » .

الوصية الثالثة : « وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا » :

وهذا الإحسان إلى الجار يكون بالقول والفعل، فسبيل الإنسان لكمال الإيمان أن يحسن إلى جاره ، وحسبك ما قاله النَّبيّ ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه** » . [متفق عليه] .

ولذا لما سئل النَّبيّ ﷺ أي الذنب أعظم ، قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » ، قيل ثم أي ؟ قال : « **أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعم معك** » ، قيل ثم أي ؟ ، قال : « **أن تزاني حليلة جارك** »[متفق عليه] .

وهذا نبينا ﷺ يقسم ويؤكد ذلك القسم ويقول : « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** » ، قيل ومن يا رسول الله ؟ ، قال : « **الذي لا يأمن جاره**

بوائقه »[مسلم] .

فالإحسان إلى الجار مأمور به ،كما قال الله تعالى :﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا (٣٦) ﴾ [النساء : ٣٦] .

وقال النَّبيّ ﷺ : « **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه** » [متفق عليه] .

الوصية الرابعة : وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا :

فالعبد لا يبلغ حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير ، ولذا قال النَّبيّ ﷺ : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه** » [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « **من أحب أن يُزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويأتي إلى الناس الذي يحب أن يُؤتى به** » .

[مسلم] .

وبيّن ﷺ من هو المسلم فقال ﷺ : « **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** »[البخاري] .

الوصية الخامسة والخاتمة : ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب:

ويكفيك في انفاذ هذه الوصية أن النَّبيّ ﷺ قال لصحابته ﷺ « **لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** » . فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين . [البخاري] .

واسمع إلى هذه النصيحة للحسن البصري ـ رحمه الله ـ :

من علم أن الموت مورده والقيامة موعده ، والوقوف بين يدي الله تعالى مشهده ، فحقه أن يطول في الدنيا حزنه .

واستمع أيها الحبيب :

استمع إلى قول الحبيب محمد ﷺ عندما يصف لنا وضع الملائكة عند ربها وخضوعها بين يديه لنعلم ونقول لقد مضى وقت اللعب ولم يبق إلى الجد والاجتهاد والعمل الدءوب المتواصل فقد أوشكنا على المفارقة فقد آن الرحيل وأزفت الآزفة .

يقول النَّبيّ ﷺ : « **إني أرى ما لا ترون ، وأسمع ما لا تسمعون ، أطت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجداً ، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم بالنساء على الفُرش ، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله ، لوددت أني كنت شجرة تُعْضَدُ** » [الترمذي] .

وحسبك أن النَّبيّ ﷺ كان ينتظر الساعة بين لحظة وأخرى لذا قال ﷺ : كيف أنتم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته ، وأصغى بسمعه ينتظر متى يُؤمر فينفخ ، فقالوا : فما تأمرنا أن نقول يا رسول الله ، قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا فقالوا : حسبنا الله ونِعم الوكيل، على الله توكلنا .

فقل أيها الحبيب بما أجابت به الصحابة : «حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا » .



المجلس الثاني عشر

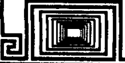
الآيـــــة :

قال الله تعالى : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)** ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **ألهاكم التكاثر حتى يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس** » .[رواه مسلم] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب :

- ما ظنك بربك الكريم ، هل تعلم ما سوف يحدث لك أو يمر بك من أحداث في الغد ؟ .
- هل تعلم ما حال هذا الجنين الذي في رحم الأم ، هل تعلم أشقي هو أم سعيد ؟ ، وما أجله وما رزقه ؟ .
- هل تعلم ما سوف تكسب غداً مما هو مقدور لك من رزق الله ، وهل تعلم ما سوف تكسب غداً من الحسنات والسيئات ؟ .
- هل تعلم بأي بقعة من الأرض ينتهي عندها عمرك فتسقط في مكانك بلا حراك ؟ .
- هل تدري متى يجيء المطر وما يصيب وما يذر ؟ .

إن كنت لا تعلم ، بل أنك لا تعلم جزمًا ، ولكن الله الذي نعبده يعلم ذلك دون سواه ، ولنستمع إلى قول الله تعالى :﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)** ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

فلقد ذكر الله تعالى الورقة والحبة تنبيهًا للمكلفين على أمر الحساب وإعلامًا بأنه لا يفوته من كل ما يصنعون في الدنيا شيء لأنه إذا كان لا يهمل الأحوال التي ليس فيها ثواب ولا عقاب ولا تكليف ، فبأن لا يهمل الأحوال المشتملة على الثواب والعقاب أوفى ، وكما قال النَّبيّ ﷺ : « **جف القلم بما هو كائن**

إلى يوم القيامة » .

وقال ﷺ : « **إن الله خلق خلقه ثم جعلهم في ظلمة ثم أخذ من نوره ما شاء ثم ألقاه عليهم فأصاب النور من شاء أن يصيبه ، وأخطأ من شاء ، فمن أصابه النور يومئذ فقد اهتدى ومن أخطأ يومئذ ضل ، فلذلك قلت : جف القلم بما هو كائن** » .

ولذا نجد أن الآية التالية لهذه الآية بيان أن الله مطلع على أعمالكم يبعثكم من القبور في شأن ما قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ليقضي الأجل الذي سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على أعمالهم .

وكما ترجم النَّبيّ ﷺ هذه الآية التي دلت على علم الله المحيط بجميع الأشياء وكتابه المحيط بجميع الحوادث ، فقال ﷺ : « **مفاتح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله ، لا يعلم أحد ما يكون في غد إلا الله ، ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله ، ولا تعلم نفسٌ ماذا تكسب غداً ، ولا تدري نفسٌ بأي أرض تموت ، ولا يدري أحد متى يجيء المطر** » .

فهي آية دالة على مظاهر القدرة والعلم والحكمة لله تعالى واستئثار الله تعالى بعلم الغيب وأن كتاب المقادير قد حوى كل شيء حتى سقوط الورقة من الشجرة وعلم الله بذلك .

أيها الحبيب :

فاحذر فإن ربك قد أحاط بكل شيء علمًا فلتحرس خواطرك وارداتك ولتحفظ أعمالك وأقوالك فربك سبحانه يعلم السر وأخفى ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ** ﴾ [البقرة : ٢٣٥] .

وتذكر دوماً :

أنك تتعامل مع رب لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء وما يعزب عنه سبحانه من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء فهو يعلم سبحانه ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، ويعلم سبحانه ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، فاحذروه على أنفسكم .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

إن المؤمن ليعيش ببدنه في الدنيا ، ولكن بصره لم ينصرف عن أمر الآخرة ، فهو ببدنه في الدنيا ، وروحه معلقة بالسماء ينتظر متى الساعة ، ويعلم يقينًا أن الدنيا ليست بدار مقر ولكنها دار ممر ، فيسعى أن يتزود منها لأمر الآخرة ، ويقول بلسان حاله : يا دنيا غُري غيري .

أيها الحبيب :

- هل شغلك مالك عن طلب الآخرة ؟ .
- هل شغلك منصبك عن طلب الآخرة ؟ .
- هل انشغلت بزينة الدنيا وزخارفها عن طلب الآخرة ؟ .
- هل انشغلت بهمك بالطعام والشراب والمسكن والملبس عن طلب الآخرة ؟ .

فاحذر ... وانتبه :

فلقد قال النَّبيّ ﷺ : « **ألهاكم التكاثر حتى يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس** » . [رواه مسلم] .

أيها الحبيب :

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أر مثل الموت حقًا كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شامل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهي قلائل

لذلك نقول لك :

اغـتـنـم في الفـــراغ فـــضـل ركـــوع فـــعـــسـى أن يـكـون مـــوتـك بـغـتـــة
كـم صـحـيـح رأيت من غـيـر سـقـم ذهبـت نفـسـه الصـحـيـحـة فلتـة

فمما لا شك فيه نحن نحتاج أن نتعلم كيف نتعامل مع الدنيا ، وحسبك أن ربك الذي خلق الدنيا والآخرة بيَّن لنا حجم الدنيا والآخرة،وبيَّن أيهما نطلب فقال سبحانه: ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (٣٩) ﴾ [غافر : ٣٩] .

ولذا نبهنا الله تعالى أن لا نفتن بالأموال والأولاد وحثنا على إنفاق المال في سبيل الله وفي كل أوجه الخير قبل أن يأتي ما لا يُستأذن علينا إلا وهو الموت .

﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ (١٠) ﴾[المنافقون : ١٠] .

ولكن هيهات هيهات :

﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١١) ﴾ .

[المنافقون : ١١] .

وهذه الآيات أيها الحبيب وردت بعد هذا التنبيه على فتنة المال والولد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٩) ﴾[المنافقون : ٩] .

ولقد ذم لنا النَّبيّ ﷺ الاستكثار من جمع المال وتمني ذلك والحرص عليه ، فقال ﷺ منبهًا أيضًا على فتنة المال : « **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش** »[البخاري] .

وقال كذلك ﷺ : « **تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ، إن**

أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرض » [البخاري] .

واستمع إلى بيان النَّبيّ ﷺ مبينًا ما جُبل عليه الإنسان وما فُطر عليه من حبه للمال وعدم شبعه من طلب المزيد منه .

فقال ﷺ : « **لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثًا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من مات** » [البخاري] .

وهذا أيها الحبيب مصداق لقول ربك ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) ﴾[آل عمران : ١٤] .

فمما لا شك فيه أن الإنسان مفطور على حب الدنيا ومتاعها ، وكذلك الحرص على أن ينال منها ما استطاع: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ .

[الكهف : ٤٦] .

ولكن ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾[الكهف :٤٦] .

فما هو المطلوب ؟ ، أنخاصم الدنيا ؟! ، إياك وأن تظن أن هناك مخاصمة بين الدين والدنيا ، ولكن المطلوب أن ننظر إلى حقيقة الدنيا وننظر كيف نتعامل مع الدنيا كما تعامل معها سيد ولد آدم ﷺ ، ولا تعط الدنيا أكثر مما تستحق ، غير ما خُلقت له الدنيا .

ويكفيك أن النَّبيّ يبيِّن لنا كيف نعيش في الدنيا ، فقال ﷺ : « **كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل**» ، واسمع إلى ترجمة ابن عمر رضي الله عنهما لكلام الحبيب محمدﷺ : « **إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ،وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح**» .

ولذا قال النَّبيّ ﷺ : « **لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا** » [الترمذي] .

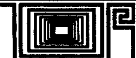
والضيعة هي البستان أو المزرعة .

فمما لا شك فيه أن ارتباط الإنسان بالدنيا ليزداد حتى تكون الدنيا لها معلم كبير في قلبه من جهة ما اتخذ الإنسان من متاعها فإن الإنسان قد يرتبط ببستانه أو حديقته أو تجارته ويخشى أن تفوت منه الدنيا فيكون هذه الأمور دافعة لميل الإنسان للدنيا ، لذا ينبغي أن نكون من هؤلاء الذين قال الله عنهم : ﴿ **رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ** (٣٧) ﴾ [النور : ٣٧] .

ولقد حرض النَّبي ﷺ على تقديم المال في حال حياة الإنسان في كل وجه من وجوه القرب والبر ، لينتفع به في الآخرة ، فإن كل شيء يخلفه المورث يصير ملكًا للورثة ، لذا قال النَّبيّ ﷺ للصحابة ﷺ : « **أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟** » ، قالوا : يا رسول الله ، ما منا أحد إلا وماله أحب إليه ، فقال ﷺ : « **فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر** » [البخاري] .

فمالك الحقيقي هو الذي أنفقته في حياتك ومال الوارث هو الذي ادخرته وحجزته ليتمتع به من بعدك ، ولذا قال النَّبيّ ﷺ : « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ، صدقة جارية ، علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له** » .

ومفهوم الصدقة الجارية هي التي تتصدق بها لنفسك حال حياتك لا تنتظر من يقوم بها من أولادك من بعدك ، فقد يشغلهم ما تركت من مال على تذكرك بعد موتك فلما تنتظر من غيرك أن يصنع لك صدقة جارية ، ولماذا لا تصنعها أنت لنفسك من مالك حال حياتك ، فلن يدخل معك في قبرك إلا عملك ، أما أهلك ومالك فيتبعونك حتى دفنك ، ثم يولون عنك مُدبرين ، فاحرص على ما ينفعك واستعن بالله .



المجلس الثالث عشر

الآيـــــة :

قـال الله تعالــى :﴿ **إن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إلاَّ آتي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتيه يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥)** ﴾ .

[مريم : ٩٣ – ٩٥] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لن يُدخل الجنة أحـداً عـمـله** » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل** » . [متفق عليه] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

أنت مملوك لله تأوي إليه بالعبودية والذل ، بل ما من مخلوق من جن ولا إنس ولا ملك ، إلا وهو مملوك لله تعالي ، فهو سبحانه المتصرف فيهم ليس لهم من الملك شيء ، ولا من التدبير شيء ، وهو سبحانه العادل الذي لا يظلم مثقال ذرة ولا يظلم أحداً .

ولتعلم أيها الحبيب أنك ستأتي ربك يوم القيامة فرداً ، بل ما من أحد إلا ويأتي يوم القيامة إلى ربه فرداً ، ليس معه شافع ولا ناصر ولا مال ولا سلطان ، قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) ﴾ [مريم : ٩٣ – ٩٥] .

ولقد علم الله تعالى عدد خلقه منذ خلقهم إلى يوم القيامة،ذكرهم وأنثاهم، صغيرهم وكبيرهم ، ويوم القيامة سيبعثون على هذا الوضع ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام : ٥٣] .

وقد يغتر الإنسان بجاهه أو سلطانه أو ماله أو عشيرته وهو يتقوى بذلك في الدنيا ولكن لو فكر الإنسان في أمر أخراه وكيف يأتي إلى ربه سبحانه منفرداً معزولاً عن كل ذلك ، معزولاً عن سلطانه وعن ماله وعن أهله وعشيرته ، وكيف حاله عندما يوقف بين يدي ربه ، ينظر عن يمينه وشماله ، هل من ناصر ؟ ، هل من شافع ؟ ، هل من صديق حميم يدفع عني ما أنا فيه الآن ؟ .

ولقد قال رسول الله ﷺ وأخبر عن ذلك الموقف : « **ما منكم من أحد إلا**

سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا حجاب يحجب » [١] .

وقال ﷺ في رواية أخرى : « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم ، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمره** » وفي رواية « **ولو بكلمة طيبة** » [البخاري ، التوحيد] .

ولتعلم أيها الحبيب أن ربك ليس بظلَّام للعبيد ولا يُظلم عنده أحد كما قال سبحانه : ﴿ فمن يعْمل مثْقال ذرَّةٍ خيراً يره ۞ ومن يعْملْ مثْقال ذرَّةٍ شراً يره ۞ ﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨] .

وكما قال النَّبيّ ﷺ فيما يحكيه عن ربه : « **يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه** » .

وكما قال سبحانه : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكُ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۞ ﴾ [فصلت : ٤٦] .

فلنسارع أيها الحبيب قبل أن يختم على عملك وقبل أن يغلق الباب دونك، فلقد نادى الله علينا : ﴿ وسارِعوا إِلَىٰ مغْفرةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وجنَّةٍ عرضها السَّموات وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ ﴾ [آل عمران : ١٣٣] . فهل من مستجيب ؟! .

---

(١) خ / التوحيد باب ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل أنت ممن يجتهد في العبادة والأعمال الصالحة ؟ .
- وهل أنت ممن يداوم على العمل ولا يمل منه ولا يتركه ؟ .
- وهل أنت أنشأت عملاً من أعمال الطاعات فلا تنقطع عنه ؟ .

أيها الحبيب :

إن المسلم ينبغي أن يُبصر إلى الأعمال المحبوبة والمرضية لربه سبحانه ، كما أن المسلم يعلم أن التوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها ، إنما هو برحمة الله وفضله ، ولذا قال النَّبيّ ﷺ : « **سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لن يُدخل الجنة أحداً عمله** » ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : « **ولا أنا ، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة ، واعلموا أن أحب الأعمال إلى الله أدومه وإن قل** » . [متفق عليه] .

فلتعلم أيها الحبيب أنه لا عبرة بأي عمل إلا إن كان على منهاج النبوة ، ولا عبرة إلا إن قصد بعمله وجه الله تعالى ، فلتكن على يقين أن العبد لا يوفق إلى أي طاعة حتى لو داوم عليها طيلة عمره حتى الممات إلا بتوفيق الله لعبده ، كما قال سبحانه :﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود :٨٨] .

ولتعلم أن الله لو عذب أهل سماواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم ، وهذا ما علمه لنا النَّبيّ ﷺ حتى لا يتكل الإنسان على عمله فلا يكن توكله إلا على ربه : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ

الَّذي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾[الفرقان : ٥٨] .

فلا تتكل على عملك في طلب النجاة ونيل الدرجات ، لأنك إنما عملت بتوفيق الله وما تركت المعصية إلا بعصمة الله لك، فكل ذلك بفضل الله ورحمته .

وانظر أيها الحبيب :

انظر إلى فهم الصحابة ﭫ للمسألة ، وذلك من خلال طرحهم هذا التساؤل فقالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ ، فإن كان كل الناس لا يدخلون الجنة إلا برحمة الله وفضله فوجه تخصيص النَّبي ﷺ بالذِّكر على أساس أنه مقطوع له بأنه يدخل الجنة ، فإن كان قد ذُكِرَ أنه حتى هو لا يدخل الجنة إلا برحمة الله وفضله، فغيره يكون في ذلك بطريق الأولى .

وهذا الحديث يدل على أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته ، ولكن قال الله تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النحل : ٣٢] ، وقال أيضًا : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) ﴾ [الزخرف : ٧٢] ، ونحو ذلك من الآيات الدالة على أن الأعمال يدخل بها الجنة .

ولتعلم أيها الحبيب :

أنه لا تعارض بين هذه الأحاديث وهذه الآيات ، فالمعنى أن دخول الجنة بسبب الأعمال ثم التوفيق للأعمال والهداية والإخلاص فيها برحمة الله وفضله، فيصبح أنه لم يدخل بمجرد العمل ، ولذا ماذا يقول أهل الجنة : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] .

وكان النَّبيّ ﷺ يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ... ومـا صمنـا ولا صلينـا

فتعلم أن العبد ما وفق أولاً إلى العمل الذي بسببه يدخل الجنة ما وفق إليه

ابتداءً إلا من خلال هداية الله له وتوفيق الله له وإمداده بالمدد والمعونة التي يتم بها العمل ثم يتفضل سبحانه بقبول هذا العمل وترتيب الثواب عليه ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨) ﴾[هود :٨٨] .

وليستقر داخل النفوس أنه لا حول ولا قوة إلا بالله .

واعلم أيها الحبيب :

أن أحب الأعمال إلى ربك أدومه وإن قل ، فلقد حثنا النَّبيّ ﷺ على مداومة العمل ، لأن من مثَّل الجنة والنار بين عينيه كان ذلك باعثًا له على المواظبة على الطاعة والإنكفاف على المعصية .

واعلم أيها الحبيب :

أن أهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار .

- ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) ﴾ .
[الليل : ٥ – ٧]
- ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) ﴾
[الليل : ٨ – ١٠] .

فليعلق قلبك بمن بيده ملكوت السموات والأرض وبمن كانت قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابعه ، ولنكثر من قول : « **يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » .

ولتدعو ربك بدعاء الصالحين : ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾[آل عمران : ٨] .

المجلس الرابع عشـــر

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾

[الحديد : ٢٢ – ٢٣] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **إنما الدنيا لأربعة نفر ، عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه ، ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقًا ، فهو بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فوزرهما سواء** » [رواه الترمذي / كتاب الزهد] .





بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

فالإنسان يفرح إذا أنعم الله عليه ، ويحزن إذا ضيَّق الله عليه ، وقد يظن الإنسان أن توسعة الله عليه علامة على رضاه عنه ، ويظن أن تضيق سُبل العيش عليه علامة على سخط الله عليه ! .

وهذا أيها الحبيب كنتيجة لجهل الإنسان بقضاء الله وقدره ، ويكفيك في ذلك قول الله تعالى : ﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد : ٢٢ – ٢٣] .

فبهذه الآية أيها الحبيب نتعلم أن كل ما يصيب العبد مكتوب في اللوح المحفوظ ، وقد فُرغ من كتابة المقادير كما قال النَّبيّ ﷺ : « **قدَّر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » [مسلم] .

فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير ولا تبديل ولا تغيير فلا الحزن يدفعه ولا السرور يجلبه ، وعلى ذلك فعليكم ألا تفرحوا بوصول خير وزوال شر فيدفعكم ذلك للبطر، ولا تحزنوا على فوات خير ونزول شر فيدفعكم ذلك لليأس ، إذ كلها مقدَّرة ، فنتعلم كيف نستقبل كل ما نتعرض له من سراء أو ضراء لكي لا نأسى ولا نحزن على ما فات مما نتشوق إليه ولا نفرح بما أتانا الله تعالى، فرح بطر وأشر، ونعلم أننا ما أدركنا ذلك النعيم ، إلا بحول الله وقوته وبفضله ومنته لا نقول كما قال قارون : ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ﴾ القصص : ٧٨] .

أيها الحبيب :

وعلى الإنسان أن يؤهل نفسه في كيفية التعامل مع قدر الله تعالى ،و كيف سبيلنا لنمتثل لقول الله تعالى : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (٥١) ﴾[التوبة : ٥١] .

ولتعلم أيها الحبيب أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فلتتأهل لكي تستقبل قدر الله فيك ﴿ **وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (١٥٥) ﴾ .

[البقرة : ١٥٥] .

ونتأهل ونتعلم كيف نتعامل مع ما قدَّر الله علينا : ﴿ **وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ** (١٥٥) **الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** (١٥٦) **أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ** (١٥٧) ﴾[البقرة : ١٥٥ – ١٥٧] .

ويكفيك في ذلك أيها الحبيب هذا الإرشاد والتعليم الذي ربى عليه النَّبيّ ﷺ الصحابة ، وكان يربي عليه الغلمان ليتربوا منذ نعومة الأظفار على الإيمان بقضاء الله وقدره وعلى التسليم والرضا بكل ما قضى وقدر سبحانه .

فهذا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يقول : كنت خلف النَّبيّ ﷺ يومًا فقال : « **يا غلام إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف** »[الترمذي] .

فهلا حفظت هذه الوصية التي علمها رسولنا ﷺ لهذا الغلام ، وهلا قمت

بتحفيظها لأولادك ليتعلموا منذ الصغر كيف يتعاملون مع قدر ربهم ، ويعلمون أنه لا يقع في ملك الله إلا ما قدر فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، تكون قلوبهم منذ الصغر متعلقة بخالق الكون ومن بيده مقاليد السموات والأرض ، ولا تتعلق قلوبهم بالأسباب .

وعليك أن تنظر إلى قلبك وتنقيه من أي شائبة عالقة فيه قادحة في عقيدتك في قضاء ربك وقدره ولتردد قول ربك : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠) ﴾[القمر : ٤٩ - ٥٠] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

اعلم أن الخير لا يدرك إلا بتوفيق الله ومعونته ، وأن من كتب الله عليه الضلالة فلا سبيل لهدايته ، وعلى العبد أن يخلص النية في طلب العلم ، وأن يجهد النفس على العمل بموجبه ، فالعلوم لا تنفع إلا لمن عمل بها .

وحال أهل الدنيا أربعة كما بين ذلك النَّبيّ ﷺ عندما قال : « **إنما الدنيا لأربعة نفر ، عبد رزقه الله مالاً وعلمًا فهو يتقي ربه فيه ويصل به رحمه ، ويعلم لله فيه حقًا فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان ، فهو بنيته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقًا ، فهو بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علمًا فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته ، فوزرهما سواء** » [رواه الترمذي / كتاب الزهد] .

فهذا الأول وهو الذي احتل أفضل الدرجات عند الله تعالى ، أتدري أيها الحبيب لماذا أحتل هذه المنزلة ، لقد أعطاه الله مالاً من جهة الحل وعلمًا شرعيًا نافعًا ، فوفقه الله للعمل بما علم ، فلقد اجتهد في طلب العلم وأخلص في ذلك النية ، ثم اجتهد على العمل بموجبه ، فالعلم يُراد للعمل كما أن العمل يُراد للنجاة .

فكما أن الأموال لا تنفع إلا بإنفاقها كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها

وراعى واجباتها ، فلينظر امرؤ لنفسه وليغتنم وقته ، فالزاد قليل والرحيل قريب، والسفر طويل ، والطريق متخوف والاغترار غالب ، والخطر عظيم والناقد بصير .

والله تعالى بالمرصاد وإليه المرجع والمآل ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨] .

ولقد قال النَّبي ﷺ : « **لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع ، عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه** » [الترمذي] .

فلا ينفي حجة الجهل إلا العلم ، ولا ينفي حجة العلم إلا العمل .

فما حالك أيها الحبيب إذا قيل لك يوم القيامة : أعلمت أم جهلت ؟ ، فإن قلت : علمت ، قيل لك : ماذا عملت فيما علمت ؟ ، وإن قلت : جهلت ، قيل لك : فما كان عذرك فيما جهلت ؟ ، ألا تعلمت ؟! .

واستمع إلى هذه النصيحة الجلية من عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه :

يا حملة العلم اعملوا به ، فإنما العالم من عمل ، وسيكون قوم يحملون العلم يتباهى بعضهم بعضًا حتى إن الرجل ليغضب على جليسه أن يجلس إلى غيره ، أولئك لا تصعد أعمالهم إلى السماء .

أيها الحبيب :

إن العلم إن لم تعمل به ضرَّك

إذا العلم لم تعمل به كان حجة ... عليك ولم تعذر بما أنت حامل

فإن كنت قد أبصرت هذا فإنما ... يصدق قول المرء ما هو فاعل

وقيل :لا خير لك أن تعلم ما لم تعلم ولم تعمل بما قد علمت فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبًا فحزم حزمة ذهب يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى .

أيها الحبيب :

أما علمت أن الله يشترى من المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لربهم ؟ ، أتدري ما بضاعتهم التي يبيعونها ؟ ، قال سبحانه :﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) ﴾ [التوبة : ١١١] .

فهل تسعى لشراء الجنة بالعلم والمال ؟ ، واستمع إلى صفات المتقين الصادقين كما يصفهم ربهم سبحانه وكيف يفعلون بأموالهم وكيف يتاجرون مع ربهم سبحانه ، فلقد نادى الله علينا أن نسارع إلى طلب المغفرة ، ونسارع إلى جنة عرضها السموات والأرض أُعدت للمتقين ، الذي من وصفهم أنهم ينفقون أموالهم في حال الإعسار وفي حال الإيسار﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ . [آل عمران : ١٣٣ – ١٣٤] .

وقال سبحانه وتعالى عنهم :﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) ﴾ [الإنسان : ٨ – ٩] .

وهم الذين﴿ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً ﴾ [البقرة :٢٧٤] .

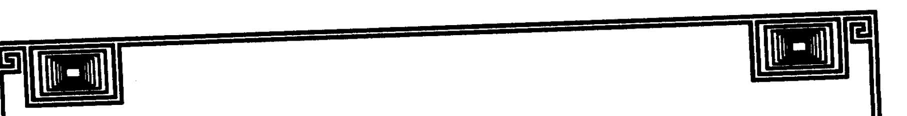
أيها الحبيب ، فلتقرأ في كتاب ربك لتقف على هذه الآيات التي حث الله فيها على النفقة في أوجه الخير والبر ويكفيك قول ربك : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤) ﴾ [البقرة : ٢٥٤] .

ولا سبيل لك أن تتعرف على أوجه الخير والبر لتضع فيه ذلك المال لكي تشتري الجنة إلا من خلال العلم لكي تتعرف ما هو المطلوب منك ماذا أراد الله منا ؟ ، ولعلك تعلمت أن هذا الأول ما احتل هذه المكانة التي أفضل المنازل إلا عندما عمل بعلمه ، فكان في أفضل الدرجات .

فلنشمر عن ساعد الجد والاجتهاد ولنواصل الليل بالنهار نعمل ونكد من أجل أن نصل المنزل ، فلتسارع ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٦] .

« اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إمامًا » .





المجلس الخامس عشر

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾ [النحل : ١١١] .

الحديث :

قال رسول الله ﷺ : « **يتبع الميت ثلاث ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله** » [الترمذي] .





بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل فكرت يومًا في يوم لا يهمك فيه إلا نفسك ، بل الكل يقول نفسي نفسي ، فعليك أن تنظر إلى زوجك فإنها ستقول يومها : نفسي نفسي ، ولتنظر إلى أبنائك ، فالكل سوف يقول : نفسي نفسي ، بل لتنظر إلى نفسك فأنت ستقول : نفسي نفسي .

ألم تسمع أيها الحبيب إلى قول ربك وهو يصف لنا هذا الموقف العصيب : ﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (١١١) ﴾ [النحل : ١١١] .

إنه والله ليوم عصيب ، الكل يتخلى عن أقرب وأحب الناس إلى قلبه ، الكل مشغول بنفسه لا ينشغل بغيره فكل نفس تخاصم طالبة النجاة لنفسها فتحاج عن نفسها لا أب ، ولا ابن ، ولا أخ ، ولا زوجة ﴿ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [المؤمنون : ١٠١] .

الكل بصره شاخص إلى ربه ينتظر متى يأمر بالفصل بين العباد ، القلوب تتطاير مع تطاير الصحف ، إنها والله اللحظة الحاسمة ، وعندها يقول الذي دس رأسه قبل ذلك في التراب وغفل عن ذلك اليوم ﴿ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ .

[الكهف : ٤٩] .

ففي هذا اليوم ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن

سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠) ﴾ .

[آل عمران : ٣٠] .

ففي هذا اليوم ﴿ فَالْيَوْمَ لا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلا تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

[يس : ٥٤] .

ففي هذا اليوم ترى نتيجة أعمالك في الأيام الخالية : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) ﴾ [الزلزلة : ٧ – ٨] .

وحسبك من ذلك أيها الحبيب ، حسبك مشهد الفرار ، أتدري من يفر من مَنْ ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ [عبس : ٣٤ – ٣٧] .

بل لو استطعت أن تفتدي نفسك بهم والله لفعلت : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) ﴾ [المعارج : ١١–١٤] .

فعليك أيها الحبيب أن تسارع ولتسمع إلي تحذير ربك ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ .

[البقرة : ٢٨١].

ولتسابق قبل أن يغلق الباب ، فقد أوشك على الانغلاق : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ .

[آل عمران : ١٣٣] .

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ .

[الحديد : ٢١] .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل فكرت يومًا في الموت ؟ .

وهل أعددت العدة لهذا اللقاء ؟ .

هل فكرت يومًا أنك راحل عن هذه الدنيا ومفارق الأحباب والأوطان والأصدقاء والخلان ؟ .

أيها الحبيب :

أتدري من يشيعك ويتبعك في جنازتك ؟ ، لقد قال الحبيب محمد ﷺ : « **يتبع الميت ثلاث ، فيرجع اثنان ويبقى واحد ، يتبعه أهله وماله وعمله ، فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله** » [الترمذي ، كتاب الزهد] .

أيها الحبيب :

لقد أوجب الله علينا تذكر الموت والاستعداد له والعمل لما بعده ، وحذر سبحانه من الغفلة عن ذلك المصير المحتوم والأجل المكتوب ، فجاء هذا التحذير : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون : ٩ - ١١] .

وقال سبحانه ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ .

[آل عمران : ١٨٥] .

ولقد أمرنا رسولنا الأمين الإكثار من ذكر الموت « **أكثروا من ذكر هادم اللذات ، الموت** »[الترمذي] .

فما ينبغي أن يكون الموت في حس الموت شبحًا مخيفًا ، إنما هو دافع للمسارعة إلى العمل الصالح ، لأنه يقطع الإنسان عن أهله وإخوانه وماله وتجارته ومسكنه وملبسه ، وعما ألف من أمور الدنيا ، كما يقطعه عن الاستزادة من العمل الصالح والمبادرة إلى التوبة من المعاصي .

أيها الحبيب :

ما ينبغي للمؤمن أن يجزع من الحديث عن الموت ، لأنه باب لدار الكرامة والخلاص من شقاء الدنيا ويكفيك في ذلك قول ربك سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** (٨) ﴾ [الجمعة : ٨] .

فللمسلم أن يكثر من ذكر الموت وما بعده من عوالم الآخرة ، وأن يستعرض بذاكرته مشاهد القيامة وأهوالها ليكون ذلك واعظًا لنفسه وحاجزًا لها عن التعلق بالدنيا والشغف بها .

وإذا عاش الإنسان حياته في غفلة وإعراض عن ربه ، واتخذ من دنياه طريقًا للضلال ، حتى أتاه الموت وهو على هذه الحال فإنه سيندم أعظم الندم وسيلقى أشد العذاب في النار ، ولك أن تنظر إلى أحوال أهل النار ﴿ **وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** (٣٧) ﴾ [فاطر : ٣٧] .

ولقد نادى الله على عباده المؤمنين محذرًا إياهم من النار ، فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ**

شدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم : ٦] .

أيها الحبيب :

أما فكرت يومًا لماذا نكره الموت ؟ ، ولماذا نكره الكلام في الموت ؟ ، ولماذا نشعر بضيق في الصدر عند الكلام عن الموت ؟ ، ولماذا هذا الشعور بالكآبة عند ذكر الموت ؟، إن السبب الداعي لهذا الشعور حُبُّ الدنيا ، واحتلال الدنيا لكل ساعات الإنسان وامتلاء القلب بحبها .

فما السبيل لإخراج الدنيا من القلوب بعد تمكنها من القلب ؟ .

يكفيك في ذلك أن ترى الدنيا كما بينها النَّبيّ ﷺ ولتحذر منها ، كما حذر منها النَّبيّ ﷺ ، قال ﷺ : « **ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم ، فلينظر بِمَ يَرجع** »[الترمذي] .

وانظر إلى هوان الدنيا على الله تعالى ، قال ﷺ : « **لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء** » .

يقول المستورد بن شداد رضي الله عنه كنت مع الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة ، فقال رسول الله ﷺ : « **أترون هذه هانت على أهلها حيث ألقوها ؟** » ، قالوا : من هوانها ألقوها يا رسول الله ، قال : « **الدنيا أهون على الله من هذه على أهلها** »[الترمذي] .

أرأيت أيها الحبيب الدنيا على حقيقتها ، أرأيت أيها الحبيب مقدار هذه الدنيا وكيف أنها حقيرة وهينة عند خالقها ، فلا سبيل لخلعها من القلب إلا بتذكر الموت لنتيقن أن الدنيا إلى فوات فلتودع الدنيا ، قبل أن تودعنا ولنلفظ الدنيا قبل أن تلفظنا ، ولا شك أن تذكُّرَ الموت له ثمرات عديدة ما ينبغي أن تفوت منك .

وإليك أيها الحبيب ثمرات تذكر الموت بالصورة الإيجابية التي تدفعك للعمل والجد والاجتهاد والطلب الباقي الدائم ، فمن ثمرات تذكر الموت ، التحرر من أسر الدنيا والشغف بها ، ومن ثمراته أيضًا التحرر من مخاوف الدنيا، ويكفيك قول ربك : ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء : ٧٨] .

فبأمثال هذه الآيات تغرس القناعة في قلب المسلم ويتدرب بذلك على التسليم لأمر ربه وعدم الجزع عند المصائب .

ومن ثمرات تذكر الموت : التزام التقوى والمسارعة إلى الأعمال الصالحة ، قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) ﴾ [الحشر : ١٨ – ١٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾ . [البقرة : ٢٨١] .

ولنتأمل : كم من أناس شيدوا القصور فلم يسكنوها واشتروا الملابس فلم يلبسوها ولقد أرشدنا الله إلى أخذ الدروس والعبر والمواعظ من السابقين الذين أعرضوا عن ربهم ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) ﴾ [الدخان : ٢٥] .

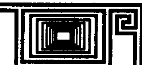
أيها الحبيب :

هل تأملت جنازة وقد حُملت على أعناق الرجال ليذهبوا بها حتى يواروها في التراب ، وهل تأملت أن عمل هذا الميت وماله وأهله يسيرون خلفه ، فرأيت أهله وهم يبكون ولكن سرعان ما يتركوه في قبره ويرحلون عنه لكي يستقبلوا ما

بقى من دنياهم بعدما انقضت دنيا حبيبهم .

ورأيت ماله الذي أنفق في تحصيله أغلى ما يملك أمضى فيه لحظات حياته وكم كان يواصل الليل والنهار من أجل الحصول على هذه الدراهم والدنانير ثم خلَّفه ظهريا ليتقاسمه الأهل من بعده ، ورأيت عمله وهو الملازم له الذي لا يفارقه ، ثم تأملت وتفكرت وتدبرت ، كيف نهتم بما يفارقنا ونغفل عمن يلازمنا ؟ ، عجيب أمر الإنسان يبني في غير ملكه ويخرب داره التي سيعيش فيها ؟ ! .





المجلس السادس عشر

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠) ﴾ .

[الزمر : ٦٨ – ٧٠] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ، يقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ، من يستغفروني فأغفر له** » [البخاري] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

في أحيان كثيرة يخادع المرء نفسه ويغمض عينيه عن حقائق ووقائع سيمر بها الإنسان إن آجلاً أو عاجلاً ، ونحن نحتاج إلى زلزلة النفس حتى لا تطغى ولا تبغى ، فإن لم يقم الإنسان بلجام النفس وتقييدها وسلسلتها ، لجرَّت هذا الإنسان إلى الهلاك .

ولك أيها الحبيب أن تستمع إلى قول ربك وهو يصف لنا هذا المشهد الذي تنخلع منه القلوب ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٦٩) وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (٧٠)** ﴾ [الزمر : ٦٨ - ٧٠] .

هل تصورت أيها الحبيب هذا المشهد ، إنها والله لمشاهد حية لا يراها إلا أصحاب القلوب السليمة ولا يخاف منها إلا أصحاب الإيمان ، ففيه بيان لأحوال البعث والجزاء وما يجرى فيه .

ولتنظر أيها الحبيب إلى حال الحبيب محمد ﷺ وهو يقول : « **كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى بسمعه ينتظر متى يُؤمر فينفخ** » .

والإنسان يحتاج إلى تخوف وردع ، لذا كان الكلام عن أهوال يوم القيامة والأحداث الجسام التي يمر بها الإنسان يوم القيامة ليكون على بينة من أمره .

قال سبحانه : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧) ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠) ﴾ [النساء : ٤٠] .

واستمع أيها الحبيب إلى قول ربك الذي يحث فيه العباد على أن يبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن يغلق الباب دونهم ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٥٨) ﴾ .

[الأنعام : ١٥٨] .

وهذا حبيبنا محمد ﷺ ينادي علينا ويقول : « **بادروا بالأعمال ستًا ، طلوع الشمس من مغربها ، أو الدُّخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم أو أمر العامة** » [مسلم ، الفتن وأشراط الساعة] .

فلنسابق ولنسارع قبل أن يُغلق الباب دوننا ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) ﴾ [آل عمران : ١٣٣] .

﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢١) ﴾ .

[الحديد : ٢١] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

■ هل لك حاجة عند ربك ، تتمنى من ربك أن يعطيك سؤالك ؟ .

■ هل اقترفت ذنبًا يؤرقك فلا يدعك تتنعم بحياتك تتمنى من ربك لو غفره لك ؟ .

■ هل لك دعوة ترددها وتتمنى من ربك لو استجاب لدعوتك ؟ .

إن كان ما تقول حقًا فكيف تغفل عن الوقت الذي ينزل فيه ربك إلى السماء نزولاً يليق بجلاله سبحانه ، لعلك تقول : أوينزل ربنا إلى السماء الدنيا متى يكون ذلك؟!،اسمع إلى قول الحبيب محمد ﷺ : «**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه ، من يستغفروني فأغفر له** » [البخاري] .

فهل تأملت أيها الحبيب ، هذا الوقت الشريف الذي خصه الله تعالى بالتنزيل فيه فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم وإعطاء سؤلهم وغفران ذنوبهم ، وهو وقت غفلة وخلوة واستغراق في النوم واستلذاذ به ومفارقة اللذة والدعة صعب ، لا سيما أهل الرفاهية وخاصة في زمن البرودة، فمن آثر القيام لمناجاة ربه والتضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته وصحة رغبته فيما عند ربه تعالى.

ولذا مدح الله هؤلاء الذين قاموا بالليل لمناجاة ربهم وخوفًا من عقوبته وطمعًا في رحمته ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴿١٦﴾ ﴾[السجدة : ١٦] .

وقال سبحانه: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ – ١٨].

وهذا النَّبيّ ﷺ وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر إذا قام من الليل مصليًّا كان يردد هذا الدعاء: « **اللهم لك الحمد، أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنَّبيون حق، ومحمد ﷺ حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت** » [البخاري].

فهذا نبينا ﷺ يعلمنا كيف يكون الثناء على الله تعالى وذلك قبل المسألة ولتتعلم كيف يكون تعظيم الرب سبحانه، وكان النَّبيّ ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، وكان يقول في ذلك: « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » صلوات الله وسلامه عليه.

أيها الحبيب:

لعلك تقول: وكيف السبيل إلى قيام الليل؟، قلنا لك: فلتنم على طهارة، فلقد قال النَّبيّ ﷺ: « **من بات طاهراً بات في شعاره ملك فلا يستيقظ إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً** » [المنذري].

وقال النَّبيّ ﷺ: « **من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عينه حتى أصبح، كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه** » [المنذري].

فانظر إلى فضل وإحسان ربك يكتب لك الثواب وتلك الدرجات ، عندما تعقد ذلك في قلبك ، فكم فرطنا في حسنات كثيرة ودرجات عالية رفيعة ، وهذا النَّبيّ محمد ﷺ كان يعلِّم أصحابه كيف يأتون مضاجعهم .

فالمسلم يختلف عن غيره في كل أمور حياته سواء في نومه أو طعامه أو شرابه أو ملبسه وغيرها ، فهذا البراء بن عازب رضي الله عنه يقول : قال النَّبيّ ﷺ : « **إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك ، لا منجي ولا ملجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت ، فإن مت من ليلتك فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به** » [متفق عليه] .

ولقد رغبنا النَّبيّ ﷺ في قيام الليل فقال ﷺ : « **يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم ، إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقده كلها ، فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » [متفق عليه] .

أيها الحبيب :

اعلم أن قيام الليل هو سبيلك إلى الجنة ، فلقد قال النَّبيّ ﷺ : « **أطعم الطعام ، وأفشِ السلام ، وصِلِ الأرحام ، وصلي بالليل والناس نيام ، تدخل الجنة بسلام** » [المنذري] .

وهذا النَّبيّ ﷺ يدفعنا دفعًا إلى قيام الليل فيقول ﷺ : « **إن في الليل لساعة لا يوافقها رجل مسلم يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة** » [مسلم] .

وقال ﷺ : « **عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم** » [المنذري] .

ويكفيك من قيام الليل أن تكون ممن تَرَحَّم عليه النَّبيّ ﷺ ،فلقد قال ﷺ : « **رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت فأيقظت زوجها ، فإن أبى عليها نضحت في وجهه الماء** » [المنذري] .

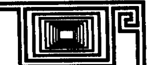
وختامًا أيها الحبيب : نقول لك هذه وصية جبريل عليه السلام **للنّبيّ** ﷺ :

« **يا محمد عش ما شئت فإنك ميت ، واعمل ما شئت فإنك مجزى به ، وأحبب من شئت فإنك مفارقه ، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس** » [المنذري] .

أيها الحبيب :

إياك والغفلة عن هذه الساعة التي ينزل فيها الله تعالى إلى السماء الدنيا ، فقم من نومك ، وانفض النوم عن عينيك ، وقم داعيًا مستغفرًا ملبيًّا ، وتوضأ وقم مصليًّا مناجيًا ربك .





المجلس السابع عشر

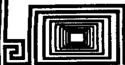
الآيـــــة :

قال الله تعالى : ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾[الكهف : ١١٠] .

الحديــث :

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل إن الله قد أحب فلانًا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض** » . [البخاري] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل أنت في شوق للقاء ربك ؟ .
- هل تأهلت لهذا اللقاء ؟ .
- هل أعدت العُدَّة لهذا اللقاء ؟ .

قد يستحي العبد إذا طرحت عليه هذه الأسئلة ويقول : نعم ، فنقول لك : هل تعلم علامات تأهل العبد لهذا اللقاء ، وهل تعرف ما ينبغي أن تعدّه لهذا اللقاء ، فلتسمع إلى قول ربك ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ١١٠] .

فالدلالة على استعدادك لهذا اللقاء أنه من كان يأمل وينتظر لقاء ربه خوفًا منه وطمعًا فيه ، فليعمل عملاً صالحًا وهو مؤمن ويحذر من محبطات الأعمال ومبطلاته ، ألا وهي الشرك بالله تعالى ، فمن كان يخاف المصير إليه ويأمل لقاءه ورؤيته أو جزاءه وثوابه فليعمل عملاً صالحًا أي موافقًا لما شرع لنا سبحانه ، وأن يكون قد أصلح إيمانه ، واستقام على ذلك .

وهذا صحابي جليل يأتي إلى النَّبيّ ﷺ ويقول : يا رسول الله ، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل أحداً بعدك ، فقال له ﷺ : « **قل آمنت بالله ثم استقم** » .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) ﴾ [فصلت : ٣٠] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤) ﴾ .
[الأحقاف:١٣ – ١٤] .

ولتعلم أيها الحبيب أن الشرك محبط لأعمال الإنسان فلا قيمة لعمل خالي من الإيمان ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء:١١٦] .

بل انظر إلى قول ربك لرسوله ﷺ : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) ﴾ [الزمر : ٦٥] .

فلا عبرة ولا وزن بالأعمال إن لم تكن صادرة من ركيزة إيمانية صحيحة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) ﴾ [النحل : ٩٧] .

وقال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا (٢٣) ﴾ .
[الفرقان : ٢٣] .

فهيا لنستعد للقاء الله تعالى وقرينة ذلك العمل الصالح المنطلق من عقيدة صحيحة لا شائبة فيها ، نصحح الاعتقاد ثم نصحح المسار .

ولتعلم أيها الحبيب أن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه .

فهل أنت أحببت لقاء ربك ، هل أنت فعلاً في شوق للقاء ربك ، هل لو قيل لك الآن في هذه اللحظة ستفارق الدنيا للقاء ربك أترى في نفسك أنك قد أعدت العُدَّة وهل زادك يبلغك ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ (١٥) ﴾ [القيامة : ١٤ – ١٥] .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل تسعى أن تكون محبوبًا عند ربك ؟ .
- هل وقفت على الأسباب التي من خلالها تكون محبوبًا عند ربك ؟ .
- أم هي مجرد أمنية لم تتعدى ذلك ؟ .
- أتدري ماذا يقول ربك إذا أحبك ؟ .

فلقد قال النَّبيّ ﷺ : « **إن الله تعالى إذا أحب عبدًا نادى جبريل إن الله قد أحب فلانًا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادي جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانًا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول في الأرض** » .

[البخاري] .

فإن قلت كيف السبيل لكي أكون محبوبًا عند ربي؟ ، لقلنا :لو قرأت كتاب ربك واطلعت على هدي نبيك ﷺ لرأيت معالم هذا الطريق الذي يأخذك إلى محبة الله تعالى،قال تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (٥٤) ﴾ .

[المائدة : ٥٤] .

ويقول سبحانه :﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (٣١) ﴾ [آل عمران : ٣١] .

فهذه خصال من جمعها كان محبوبًا عند ربه سبحانه ، وكذلك قال النَّبيّ

ﷺ فيما يرويه عن ربه مبينًا ومرشدًا لطريق محبة الله تعالى ، يقول النَّبيّ ﷺ :
« **يقول الله تعالى : من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يُبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن أعاذني لأعيذنه** » [البخاري] .

أيها الحبيب ، إن محبة الله لعبده ما هي إلا ثمرة للإيمان والعمل الصالح ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦)** ﴾ [مريم : ٩٦] .

أيها الحبيب ، اعلم أن العمل الصالح الذي يُنطلق إليه من ركيزة إيمانية صحيحة له العديد من الثمار سواء كان في الدنيا أو الآخرة ، فإن كنت تسعى إلى السعادة في الدنيا فعليك بالعمل الصالح الملازم للإيمان ، قال النَّبيّ ﷺ :
« **ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما أن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، كما يكره أن يُقذف في النار** » . [البخاري] .

وقال ﷺ : « **ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولاً** » [مسلم] .

كما أنه لا سبيل للحياة الطيبة التي وعد الله بها أحبائه إلا من خلال تحقيق الإيمان الملازم للعمل الصالح ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)** ﴾ [النحل : ٩٧] .

وكما قال سبحانه : ﴿ **فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ** ﴾ [طه : ١٢٣] .

وهذا الإيمان والعمل الصالح سبيلك لطمأنينة القلب وسكينة النفس ، قال

سبحانه وتعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) ﴾ [الرعد : ٢٨] .

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ [الفجر : ٢٧ – ٣٠] .

وانظر أيها الحبيب : إلي سعادة هؤلاء الطائعين عند ربهم في الآخرة :

كيف حالهم عند سكرات الموت:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ (٣٢) ﴾ .

[فصلت : ٣٠ – ٣٢] .

ويقول سبحانه ﴿ لا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٤) ﴾ [يونس : ٦٢ – ٦٤] .

كيف حالهم في قبورهم :

﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾ .

[إبراهيم : ٢٧] .

وكما قال النَّبيّ ﷺ من حالهم عندما يوضعون في قبورهم فيأتيه ملكان يقعدانه ويسألانه من ربك ؟ ، وما دينك ؟ ، وما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم ؟ ، فأما المؤمن فيقول : ربي الله ، وديني الإسلام ، والرجل الذي بُعث فينا هو محمد ﷺ ، فيفتح له في قبره باباً إلى الجنة ويُوسع له في قبره مدَّ البصر .

كيف حالهم عند الحشر والحساب وعند الصراط :

يقول سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ (١٠١) لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ (١٠٢) لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٣] .

كيف حالهم عندما تنشر الكتب وتتطاير الصحف :

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾ .

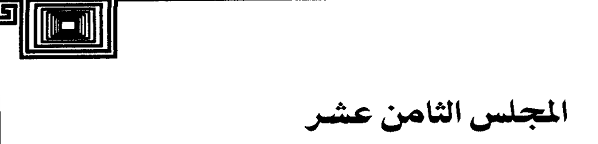
[الزمر : ٧٣ – ٧٤] .

وكفى بها سعادة النظر إلى وجه الله الكريم ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة : ٢٢–٢٣] .

اللهم ارزقنا الجنة وأنعم علينا بالنظر إلى وجهك الكريم .



المجلس الثامن عشر



الآيــــة :

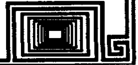
قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) ﴾ [النحل : ٩٠ – ٩١] .

الحديث :

قال رسول الله ﷺ : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه** » [البخاري] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل أنت منصف ولو كان من نفسك ؟ .
- هل أنت ممن يفي بالعهود ومن أهل الإحسان ؟ .

لقد دعانا الله تعالى وأمرنا سبحانه أن نكون مقسطين وأن نكون ممن يفى بالعهد ولا نقوم بنقضه ودعانا سبحانه وتعالى إلى أن نكون من المحسنين .

وفي المقابل دعانا سبحانه أن نتخلى عن كل رذيلة من الرذائل التي ذمها الله تعالى حيث أنه ما ينبغي للمؤمن أن يكون فاحشًا أو بذاءً أو متفحشًا لا في قول ولا في فعل ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠) وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١)** ﴾ [النحل : ٩٠ - ٩١] .

والعدل الذي أمرنا الله به هو الإنصاف ومن ذلك أن يعبد الله بذكره وشكره لأنه هو الخلاق العليم المنعم سبحانه وتترك عبادة غيره لأن غيره لم يخلق ولم يرزق ولم ينعم بشيء .

فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه سبحانه وفي حق عباده ، ويكون ذلك بأداء الحقوق كاملة موفورة ، فالعبد يؤدي ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والعدل هو الذي فرضه الله علينا في كتابه ، وعلى لسان رسوله ﷺ وأمرنا بامتثاله والاشتمال عليه .

وهذه الآية هي أجمع آية في القرآن لأنها جامعة لكل المأمورات والمنهيات، ولقد وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى تدل على شرعية العدل حتى لو كان في العقوبات كما قال تعالى : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ (١٢٦) ﴾ [النحل : ١٢٦] .

وقال سبحانه : ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) ﴾ [الشورى : ٤٠] .

وأمر سبحانه بالعدل في الحكم ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة : ٨] .

ولقد أمرنا النَّبيّ ﷺ بالعدل بين الأولاد «**ساووا بين أولادكم في العطية**» .

فلابد من القسط والتسوية في الحقوق فيما بيننا وترك الظلم وإيصال كل ذي حق إلى حقه وأمرنا سبحانه بالإحسان ، وهو أداء الفرائض واجتناب المحرمات مع مراقبة الله تعالى في ذلك حتى يكون الأداء على الوجه المطلوب إتقانًا وجودة، والاجتناب خوفًا من الله وحياء منه .

وأمرنا بإيتاء ذي القربى ، أي ذوي القربات حقوقهم من البر والصلة ، وينهانا سبحانه وتعالى عن الفحشاء ، وهو كل ذنب عظيم استفحشته الشرائع والفطر ، كالشرك بالله والقتل بغير حق ، الزنا ، السرقة ، احتقار الخلق ، وغير ذلك من الفواحش ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف : ٣٣] .

والمنكــــر : ويدخل فيه كل ذنب ومعصية تتعلق بحق الله تعالى .

والبغـــــي : كل عدوات على الخلق «سواء كان في الدماء أو الأعراض أو الأموال» .

فهل أنت من أهل هذه الآية ، فلتسارع أن تكون من أهلها ، فما زالت الفرصة باقية ، ومازال في العمر فسحة فاغتنمها .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها المسلم الحبيب :

- هل لك في عتق الرقاب ، أما علمت فضل ذلك ؟.
- هل لك في بناء سداً مانعًا بينك وبين الشيطان حتى لا يكون له سبيل عليك؟.
- هل عجزت عن الاستكثار من عتق الرقاب ؟.

فإليك أيها الحبيب :

أهدي إليك ما أهداه لنا النَّبيّ ﷺ حيث قال : « **من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه** » [البخاري /ك الدعوات/ ٦٤ باب فضل التهليل] .

ومن قالها عشر مرات كن له عدل رقبة،فلا تعجزوا أن تستكثروا من الرقاب .

ولتعلم أيها الحبيب إنما يحصل الثواب الجسيم لمن قام بحق هذه الكلمات ، فاستحضر معانيها بقلبه وتأملها بفهمه .

أترغب أيها الحبيب في شفاعة النَّبيّ ﷺ يوم القيامة ، فسبيلك إلى ذلك أن تردد كلمة التوحيد خالصة من قلبك ، فلقد قال رسول الله ﷺ : « **أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة ، من قال : لا إله إلا الله خالصًا من قبله** » [البخاري] .

كلمة التوحيد سبيلك لدخول الجنة ، فلقد قال رسول الله ﷺ : « **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى**

عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من عمل » ، وفي رواية : « **من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء** » [البخاري] .

وكلمة التوحيد سبيلك للنجاة من النار ، فلقد كان معاذ بن جبل رضي الله عنه رديف النّبيّ ﷺ على حمار ، فقال يا معاذ بن جبل : قال لبيك يا رسول الله وسعديك ـ ثلاثًا ـ قال : «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صادقًا من قبله إلا حرمه الله على النار** » [متفق عليه] .

فلك أن تعلم أيها الحبيب أن كل ما هو من أركان الدين وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين ومقتضاها .

وانظر أيها الحبيب إلى ثقل لا إله إلا الله في الميزان ، فهذا موسى عليه السلام قال: «**يارب علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به قال : قل لا إله إلا الله ، قال : يارب كل عبادك يقول هذا؟ ، قال : قل لا إله لا الله ، قال : إنما أريد شيئًا تخصني به ، قال يا موسى : لو أن السموات السبع والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله** » [رواه النسائي والحاكم] .

وهي الكلمة التي نجدد بها الإيمان ، فلقد قال رسول الله ﷺ : « **جددوا إيمانكم**» ، قيل : يا رسول الله ، وكيف نجدد إيماننا ؟ ، قال : « **أكثروا من قول : لا إله إلا الله** » [رواه أحمد] .

وهي خير الكلام وخير ما تكلم به الأنبياء ،ولقد قال رسول الله ﷺ : « **خير الدعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، له الحمد وهو على كل شيء قدير** » [الترمذي] .

وختامًا نقول لك أيها الحبيب :

عليك بأفضل الذكر ، فلقد قال رسول الله ﷺ : « **أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله** » [ابن ماجة والنسائي] .



المجلس التاسع عشر

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا ، فيقول ما صنعت شيئًا ، ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت** » [مسلم] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل تريد أن تكون من خيرة هذه الأمة مع صحبة النَّبيّ محمد ﷺ ، ومع هذه الرفقة المؤمنة التي اختارها الله لصحبة نبيه ولإقامة دينه ، فلتؤد شرط الله فيه .

أتدري أيها الحبيب ما هو الشرط الذي ينبغي أن تستوفيه لتنضم إلى هذه القائمة ، فلتسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

فهذا أيها الحبيب تفضيل الله لهذه الأمة بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا بها سائر الأمم وأنهم خير الناس للناس نصحًا ومحبة للخير ودعوة وتعليمًا وإرشادًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر ، فهم امتثلوا لأوامر ربهم لما أمرهم سبحانه بأن يلتزموا تقواه ويثبتوا ويستمروا على دينه وأن يعتصموا بحبله ، وامتثلوا لما أمرهم سبحانه بتكوين الجماعة المسلمة الذين يقومون بالدعوة إلى الإسلام وإلى دين ربهم ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .

فكانوا بذلك خير أمة أُخرجت وظهرت على وجه الأرض لنفعهم للناس ولنصحهم وإرشادهم للناس بما فيه نجاتهم .

فلتسارع أيها الحبيب لكي تنضم إلى ذلك الركب وإلى تلك الرفقة الصالحة وإلا فمن لم يتصف بذلك كان أشبه ما يكون بأهل الكتاب والمنافقين الذين لا يتناهون عن منكر فعلوه ، فهذه هي الأسباب التي تفقد على أساسها الولاية كما

قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة : ٧١] .

وهؤلاء هم الذين وعدهم الله بالحسنى يوم القيامة : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) ﴾ [التوبة : ٧٢] .

فإن لم يكن انضمامنا إلى هذه الفئة التي زكاها الله تعالى كان ولابد أن تكون الأخرى الذين قال الله فيهم : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) ﴾ [التوبة : ٦٧] .

ويكفي فيهم وعد الله تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) ﴾ [التوبة : ٦٨] .

فإياك والمغامرة بعمرك وإياك والمجاملات في دين الله تعالى ، فكن من الذين قال الله عنهم ﴿ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

ولنتسارع للإنضمام إلى صفوف المؤمنين ، عسى أن يتقبلنا سبحانه في عباده الصالحين ﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾ [آل عمران : ٨] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- أتعلم ما هي خطط الشيطان التي يرسمها من أجل إبعادك عن صراط ربك المستقيم .
- أتعلم ما هي الأدوات والوسائل التي يستعين بها من أجل إضلالك ؟ .
- أتعلم ما هي العقبات التي يتبعها الشيطان في طريقك كي يحاول أن يستحوذ عليك ويأسرك ؟ .
- أتعلم ما هو الهدف الذي ينشده الشيطان ويسعى إلى تحقيقه ؟ .

فإليك أيها الحبيب نرسل ما أخبر به النَّبيّ ﷺ عن الشيطان وعرشه وسراياه التي يبعثوها على عباد الله ليأخذوهم بعيداً عن طريق ربهم المستقيم، قال ﷺ : « **إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا ،فيقول ما صنعت شيئًا ، ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت** » [مسلم] .

عساك أن تقول ما هي الدوافع التي تجعل هذا الشيطان عالي الهمة ، لا يمل ولا يتعب ولا ينصب يواصل العمل بالليل والنهار ، ذلك أن الشيطان أخذ على نفسه عهد ألا يهنأ له بال ولا يغفل له عين إلا بعد إضلال بني آدم الذي طُرد بسببهم من الجنة .

قال الله تعالى فيما يحكيه لنا عن الشيطان ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ**

صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) ﴾ [الأعراف : ١٧] .

ترى إلى أين يريد الشيطان أن يأخذ أتباعه ؟ ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦] .

فيحاول الشيطان أن يستحوذ على الإنسان بكل الوسائل والأدوات حتى يبعده عن ذكر ربه ، فالشيطان لا يستطيع أن ينال الإنسان إلا بعد أن يوقعه في الغفلة ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩) ﴾ [المجادلة : ١٩] .

لذا أيها الحبيب أنصت إلى نصيحة الله إلينا ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

وكان هذا التحذير من الله تعالى من اتباع خطوات الشيطان ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ (٦١) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢) ﴾ [يس : ٦٠-٦١] .

ولذا قال الله تعالى منبهًا إيانا كيف خرج الشيطان عن طاعة ربه ويحاول جاهدًا أن يخرجنا عن طاعة الله ويخرجنا عن صراط الله المستقيم ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً (٥٠) ﴾ [الكهف : ٥٠] .

أيها الحبيب :

هل ترى أن إبليس نجح في خططه مع الإنسان ؟ .

هل ترى أن الإنسان في سعيه كان على حذر من الشيطان كما نبهه الله لذلك ؟ .

يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) ﴾ [سبأ : ٢٠] .

والشيطان في سعيه يحاول أن يبث دواعي الفرقة والاختلاف في الصف الإسلامي ويحاول أن يبدل هذه المحبة والألفة والمودة والترابط بين المسلمين إلى عداوة وبغضاء لأنه لا سبيل لتصدع هذا الكيان الإسلامي المترابط إلا بذلك ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ (٩١) ﴾ [المائدة : ٩١] .

انظر إلى فعل الشيطان مع الإنسان إن أراد أن ينفق ولو نزراً يسيراً من ماله ، كيف يسعى إلى تبخيل الإنسان وتخويفه من المستقبل على نفسه وأولاده ، لكي يجعله يُضن بماله ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ﴾ .

[البقرة : ٢٦٨] .

لعلك تقول : كيف يستحوذ الشيطان على الإنسان ؟ .

أيها الحبيب ، هناك عقبات كثيرة يبثها الشيطان في طريق الإنسان ، حتى إن فلت من الشيطان في عقبة ناله في عقبة أخرى ، أتدري ما هي عقبات الشيطان التي يضعها كعراقيل في طريق الإنسان وفي سير الإنسان في طريق ربه المستقيم ؟ .

أول هذه العقبات التي يقوم الشيطان ببثها في طريق الإنسان في محاولة على الاستحواذ عليه :

عقبة الكفر :

يقول سبحانه : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥) كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ

﴿ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ [الحشر :١٥– ١٧] .

وسبيل الإنسان للنجاة من هذه العقبة هو التعرف على قواعد الإيمان وأصوله وأساسه،والتعرف على مسائل الشرك لكي يجتنبها وحسبُك أن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] .

ويقول سبحانه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

فإن لم يستطع الشيطان أن يستحوذ على الإنسان من هذا الباب كنتيجة لمعرفة الإنسان بالعقيدة الصحيحة وكان مجتنبًا للشرك أتاه الشيطان من العقبة الثانية ، وهي :

عقبة البدعة :

فيدفعه الشيطان أن يبتدع في دين الله ، مُنسيًا إياه قول النَّبيّ ﷺ : « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** » [مسلم] . « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** » [مسلم] .

وسبيل الإنسان لعدم الوقوع في البدعة معرفة الإنسان بالسُّنَّة ، لأن البدعة عكس السُّنَّة ، وإياك والاستحسان لذكر أو عبادة إلا بعد الرجوع إلى سُنَّة النَّبيّ ﷺ ، فإن كان ذكر معتمد أو عبادة معتمدة فلتسارع إلى فعلها وإن لم تُعتمد فلتكن أبعد الناس عنها ، فإن لم يستطع أن يستحوذ على الإنسان في هذه العقبة لمعرفة الإنسان بالسُّنَّة انتقل معه إلى العقبة الثالثة وهي :

عقبة الكبائر :

فيحاول الشيطان أن يزين المعصية في نفس الإنسان ليدفعه لارتكابها ، لأنه

يعلم أنها لمهلكة، فقال قال النَّبيّ ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » .

وكأنه يعلم من كلام النَّبيّ ﷺ « **اجتنبوا السبع الموبقات ، الشرك بالله ، والسحر ،والفرار من الزحف ،وقذف المحصنات الغافلات ، وعقوق الوالدين** » .

فإن كان الإنسان أعرف بهذه الكبائر حريصًا على اجتنابها أتاه من العقبة الرابعة وهي :

عقبة الصغائر :

فيأتي إليه الشيطان ويدفعه إلى الاستهانة والتحقير من شأن المعصية الصغيرة وكأنه يُسر إليه في أذنيه أن هذه الصغائر تمحى عن طريق الحسنات الماحية ، من صلاة ، أو وضوء ، أو صدقة ، أو صوم ، وسبيل الإنسان للعصمة من الوقوع في الصغائر هو إشعال جذوة الإيمان في القلب مستحضراً مراقبة الله لأقواله وأفعاله وحركاته وسكناته ، فلا يكون بذلك محقراً للصغيرة ولا مقترفًا للكبيرة ، فإن لم يستطع الشيطان أن يأتيه من هذا الباب انتقل إلى العقبة الخامسة وهي :

عقبة المباحات :

فيدفع هذا الإنسان أن يتوسع في باب المباحات من طعام وشراب وملبس ومسكن ، وكذلك في العمل والتجارة ، حتى لو كان من السبيل المشروع ، المهم هو أن يدفعه أن ينفق وقته وعمره في طلب الدنيا حتى لو كانت من وجه مباح حتى لا يصرف هذه الأوقات في طاعة وقربة إلى الله تعالى .

فإن لم يستطع أن يستحوذ عليه الشيطان من هذا الباب لفقه الإنسان في كيفية التعامل مع الدنيا ، وأننا لم نُخلق للدنيا ولكننا خُلِقنا لطلب الآخرة ،

والدنيا ليست بدار مقر ولكنها دار ممر إلى الآخرة ، وليس المطلوب تعمير الدنيا وتخريب الآخرة ، ولكن خُلقنا لتعمير الآخرة ، ونتزود من الدنيا لطلب الآخرة ، عندها يأتيه الشيطان من العقبة السادسة وهي :

عقبة الفاضل والمفضول :

وهذه العقبة لا سبيل للإنسان من اجتيازها إلا بمعرفته بدقائق السُنن والوقوف على أفضل صورة تؤدى بها العبادة التي يريد أن يقوم بها ، فإنه لا يبحث عن صحة العبادة فحسب ، ولكن أفضل صورة يحقق من خلالها الدرجات العُلى ، فإن لم يستطع الشيطان أن يستحوذ على الإنسان في هذه العقبة أو يُلبِّس عليه الطاعات أتاه من العقبة السابعة والأخيرة .

عقبة : تسليط أولياء الشيطان على أولياء الرحمن :

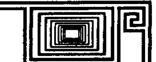
كما قال سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** (١٧٥) ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

﴿ **وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ** (١٢١) **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** (١٢٢) ﴾ .

[الأنعام : ١٢١ – ١٢٢] .

وأخيرًا أيها الحبيب :

اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل ، واجعلنا للمتقين إمامًا .



المجلس العشرون

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨) ﴾ [التوبة : ١٢٨] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا ، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** » .

[رواه مسلم].






بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

إن منن الله علينا عظيمة وجليلة ، وعليك أيها المسلم أن تتعرف على نعم ربك وعلى منَّته وفضله علينا ، لكي نقوم بأداء شكره سبحانه .

ومن أجلَّ منن الله تعالى أن أرسل إلينا رسولاً من أنفسنا من جنسنا ويتكلم بلغتنا ، يدعونا ويهدينا إلى سبيل ربنا المستقيم .

وحسبُك في ذلك أيها الحبيب وصف ربك سبحانه لرسول ﷺ الذي أمر باتباعه وجعلنا على ملته ومن أمته ﴿ **لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١٢٨)** ﴾ [التوبة : ٢٨] .

فتعلم أيها الحبيب أن بعث الله تعالى لرسوله محمد ﷺ والله إنه لمنَّة بل من أعظم منن الرب تعالى ، حيث قال سبحانه : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ (١٦٤)** ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

أترى أيها الحبيب أكان لنا من سبيل لكي نتعلم ونعقل عن ربنا سبحانه بغير سبيل النَّبيِّ ﷺ فإنه هو النور الذي أرسله الله إلينا لكي نهتدي به ونسعد ﴿ **قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ (١٥) يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (١٦)** ﴾ .

[المائدة : ١٥-١٦] .

فإن هذا الرسول الكريم ﷺ والله إنه لحريص على هدايتنا وعلى سعادتنا

فيحب لكم الخير ويسعى جهده في إيصاله إليكم ، ويحرص على هدايتكم للإيمان ويكره لكم الشر ، ويسعى جهده في تنفيركم عنه واستنقاذكم منه ، وذلك لشدة رأفته وشفقته بالمؤمنين ، فهو أرحم بهم من والديهم ، وكفى في حرصه وصف ربك سبحانه : ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا** (٦) ﴾ [الكهف : ٦]، ﴿ **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** (٣) ﴾ [الشعراء :٣] .

بل انظر أيها الحبيب إلى بكاء نبيك وهو يبكي ، أتدري فيما يبكي ؟ .

فلقد بكى النَّبيّ ﷺ بكاءً شديداً حتى أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام إلى رسول الله ﷺ أن يسأله ما يبكيك يا محمد ، قال : « **يا رب أُمَّتي أُمَّتي ، فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام : أخبره أنَّا لن نسوؤك في أمَّتك أبداً** » .

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النَّبيّ ﷺ تلا قول الله عز وجل في إبراهيم : ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي** ﴾ [إبراهيم : ٣٦] ، وقال عيسى عليه السلام : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (١١٨) ﴾[المائدة : ١١٨] .

فرفع يده وقال: اللهم أُمَّتي أُمَّتي وبكى ، فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فسله ما يبكيك ، فأتاه جبريل عليه السلام فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ ، فقال الله عز وجل: « **يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أُمَّتك ولا نسوؤك** » . [مسلم/ كتاب الإيمان] .

وانظر كذلك أيها الحبيب إلى هذه الشفقة والرحمة التي عُقد عليها قلب نبينا ﷺ عندما قال : « **مثلي كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبه فيتقحمن فيها ، قال : فذلكم مثلي ومثلكم ، أنا آخذ بحجزكم عن النار** » .

هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها »[مسلم] .

فهذا نبيكم ﷺ يدعوكم لما ينجيكم من العقاب بالتحذير عن الذنوب والمعاصي لفرط رأفته فآمنوا به واتبعوا النور الذي جاء به تهتدوا وتسعدوا ولا تكفروا وتعرضوا فتضلوا وتشقوا ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (٦٣) ﴾[النور : ٦٤] .

أيها الحبيب :

أما ترى أن هذا النَّبيّ ﷺ الرسول الكريم ألا يستحق أن يُتبع في كل ما جاء به من ربه سبحانه ، أما ترى أن هذا النَّبيَ يستحق منك أن تسعى أن تتشبه به في خُلُقه وأخلاقه وإيمانه وسلوكه .

وهو الذي رقى في أعلى سلم العبودية وسلم الإيمان،ويكفيك قول ربك سبحانه : ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (١٦١) **قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** (١٦٢) **لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ** (١٦٣) ﴾[الأنعام : ١٦١- ١٦٣] .

فلتسعى أيها الحبيب أن تكون من أتباعه ، ولتسعى أن تكون من المستحقين أن يناولك بيده الشريفة شربة ماء من حوضه ، فإنك والله لا تظمأ بعدها أبداً .



بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب :

إن الأخوة الإيمانية من أهم عوامل البناء والتماسك في المجتمع الإسلامي ، ولقد نبهنا الله تعالى على الصحبة المؤمنة وبيَّن سبحانه أن الأخوة الإيمانية من أجلِّ نعم الله تعالى علينا ومما من به على النَّبيّ ﷺ وحذرنا الله تعالى من العوامل القادحة في الأخوة الإيمانية ، كما نبه على ذلك رسوله الأمين ليظل هذا المجتمع الإسلامي مجتمع مترابط ومتماسك ، فكانت هذه النصيحة من النَّبي ﷺ لأفراد المجتمع الإسلامي .

« **لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا ، لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** » [رواه مسلم] .

فيا أيها الحبيب إن عرض أخيك المسلم مُصان ، وكذا ماله ودمه ، فلقد حرم الله علينا أن نخوض مع الخائضين في أعراض المسلمين أو ننتقص من شأن أحد منهم أو نسخر منه أو نهزأ به ، وقال النَّبيّ ﷺ : « **كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، التقوى ها هنا ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »[الترمذي] .

ولتعلم أيها الحبيب إن داء الحسد هو الذي دفع إبليس لعدم السجود لآدم عليه السلام وذلك لما رأى إبليس أن الله خلق آدم بيده وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأسكنه جنته، ولكن ما زال يسعى إبليس - لعنه الله - في إخراجه من الجنة حتى أُخرج منها .

ويروي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن إبليس قال لنوح : اثنان بهما هلك بني آدم الحسد « وبالحسد لُعنت وجعلت شيطانًا رجيمًا » ، والحرص « وبالحرص أبيح لآدم الجنة كلها ، فأصبت حاجتي منه بالحرص » .

وكذا الحسد هو الذي دفع ابني آدم الأول أن يقوم بقتل أخيه ، وبالحسد قام أُخوة يُوسف عليه السلام بهذه المكيدة ليوسف التي أحزنت يعقوب عليه السلام حتى ابيضت عيناه من الحزن .

ولقد وصف الله اليهود بالحسد ، فقال سبحانه : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ** ﴾ .

[البقرة : ١٠٩] .

وقال النَّبيّ ﷺ أن سبب هلاك الأمم السابقة كان داء الحسد والبغضاء « **دب إليكم داء الأُمم من قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هي الحالقة ، حالقة الدين لا حالقة الشعر ، والذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم** » [الترمذي] .

وقال أيضًا ﷺ : « **سيصيب أُمَّتي داء الأمم** » ، قالوا : يا نبي الله ، وما داء الأُمم ؟ ، **قال** : « **الأشر والبطر والتكاثر والتنافس في الدنيا والتباغض والتحاسد حتى يكون البغي ثم الهرج** » [رواه الحاكم] .

أيها الحبيب :

كنت تجد هذا الداء في قلبك فلتصرفه إلى إحدى خصلتين لا ثالث لهما ، فلقد قال الحبيب محمد ﷺ : « **لا حسد إلا اثنتين ، رجل أتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار ، ورجل أتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار** » [متفق عليه] .

وإليك أيها الحبيب الداء الثاني القادح في الأخوة الإيمانية وهو من العوامل الهدامة لتماسك المجتمع الإسلامي ، ألا وهو البغضاء ، لذا قال النَّبيّ ﷺ «**ولا تباغضوا** » ، فقد نهى الله تعالى المسلمين عن التباغض بينهم في غير الله تعالى ، بل على أهواء النفوس ، فإن المسلمين جعلهم الله إخوة يتحابون في الله ولا يتباغضون ، وقال ﷺ : « **والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم به ، أفشوا السلام بينكم** » [مسلم] .

ولقد حرَّم الله على المؤمنين أن يكون بينهم عداوة وبغضاء وليحذروا من سعي الشيطان في تخريب علاقة الأخوة ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** (٩١) ﴾ [المائدة : ٩١] .

ولقد امتن الله على عباده بالتآلف بين قلوبهم ، قال سبحانه : ﴿ **وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا** ﴾ .

[آل عمران : ١٠٣] .

وامتن الله على رسوله ﷺ بهذه النعمة « نعمة الأخوة الإيمانية والتآلف بين قلوب هذه الصحبة المؤمنة » ، قال سبحانه : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ** (٦٢) **وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** (٦٣) ﴾ [الأنفال : ٦٢ – ٦٣] .

ونجد أن النَّبيّ ﷺ حذر من القوادح التي تهلك هذه الأخوة وتصدع هذا البيان ، وكان من هذه التحذيرات « **المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه ، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر** » [مسلم] .

وكذا كان التحذير من الهجران ، فقال ﷺ : « **لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، يلتقيان فيصد هذا ويصد هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام** »[متفق عليه] .

فلتبادر لتكون أنت خير الرجلين ، فلا تفوتك هذه الفضيلة .

ثم نادى النَّبيّ ﷺ قائلاً : « **وكونوا عباد الله إخوانًا** » ، ويكفيك قول ربك سبحانه وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)** ﴾ [الحجرات : ١٠] .

فلنبتعد عن قوادح الأخوة ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ** ﴾ [الحجرات : ١١] .

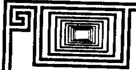
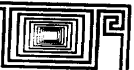
وقال النَّبيّ ﷺ : « **إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث ، فإن ذلك يحزنه** »[رواه مسلم] ، ففيها مراعاة لحقوق الأخوة ومراعاة للأحوال النفسية ، فإياك وإدخال الحزن على إخوانك .

وختامًا نقول لك أيها الحبيب :

هكذا تكون العلاقة بين المؤمنين، قال النَّبيّ ﷺ : « **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[مسلم] .

« اللهم أتمم علينا نعمة الأخوة الإيمانية ، واجعلنا متحابين في جلالك » .



المجلس الحادي والعشرون

الآيــــة :

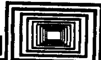
قال الله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ .

[آل عمران : ١٠٢] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **مثل الجليس الصالح ، والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة** » [مسلم] .






بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

اعلم أن العصمة في طاعة ربك وأن الهداية في اتباع سبيل ربك المستقيم فالعمدة في الهداية والعدة في مباعدة الغواية والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد هو الاعتصام بالله والتوكل عليه .

فلتقبل إرشاد الله إليك ﴿ **وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ .

[آل عمران : ١٠١] .

فلتعلم أيها الحبيب أن من تمسك بدينه الحق الذي بيَّنه سبحانه بآياته على لسان رسوله ﷺ وهو الإسلام والتوحيد المعبر عنه بسبيل الله فهو على هدى لا يضل متبعه ، فعليك أن تتوكل على ربك فهو حسبك ، وعليك أن تحتمي بحماه ، فهو عاصمك ومنجيك .

فعليك أيها الحبيب أن تعتصم بربك ولا سبيل إلى ذلك إلا بسيرك في طريق ربك المستقيم ، ولقد نادى الله علينا أن نعتصم بحبله المتين وبصراطه المستقيم ، فقال سبحانه : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

وسبيلك إلى ذلك أن تقوم بطاعته ، ﴿ **فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ** ﴾ [الحج : ٧٨] .

ولتعلم أن من اعتصم بربه فقد فاز ونجا ، ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (١٧٥)** ﴾ .

[النساء : ١٧٥] .

ولتعلم أيها الحبيب :

أنه لا عاصم من أمر الله إلا من رحم ﴿ **قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)** ﴾ .

[الأحزاب : ١٦ – ١٧] .

فأين تذهبون وإلى أين تفرون ؟ ، أترى أيها الحبيب ، أترى هناك من يجيرك من الرحمن ﴿ **قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ** ﴾ [المؤمنون : ٨٨ – ٨٩] .

بل قل كما قال النَّبيّ ﷺ ﴿ **قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢)** ﴾ [الجن : ٢٢] .

فعليك أيها الحبيب أن تستمسك بما استمسك به النَّبيّ ﷺ وحذار ثم حذار أن يتفلت من يديك فلتقبض عليه بقوة فهو سبيلك للنجاة ﴿ **فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٤٣)** ﴾ [الزخرف : ٤٣].

ويكفيك قول نبيك المصطفى ﷺ : « **تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا بعدي أبداً ، كتاب الله وسُنَّة رسوله - ﷺ -** » .

وهذه وصية النَّبيّ ﷺ للأولين والآخرين « **فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار** » .

وكان نبيك وحبيبك محمد ﷺ إذا قام يصلي من الليل قال : « **اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب**

والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم » .

وختاماً نقول ولنرفع بها أصواتنا :

« اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، ولا تجعله ملتبسًا علينا فنضل، واجعل للمتقين إمامًا » آمين .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل نظرت في يوم ما في أصحابك ؟ ، وإن كانت هذه الصحبة صحبة مؤمنة تنتفع بها في الدنيا والآخرة ، أم صحبة اجتمعت على اللهو واللعب والمزاح وإضاعة الوقت والأعمار ؟ .

وهل نظرت في يوم ما أين ستقودك هذه الصحبة، وإلى أين ستذهب بك ؟.

أيها الحبيب :

لقد بيَّن لنا النَّبيّ ﷺ من نصاحب ومن نجالس ومن نصادق ، فقال ﷺ : مثل **الجليس الصالح ، والجليس السوء كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحًا طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة** » [مسلم] .

فالإنسان مطالب في البحث دومًا عن هذه الصحبة التي يجالسها ويمضي معها أوقاته ، أهي صحبة ستأخذني إلى الجنة ، أم أنها ستأخذني إلى الأخرى ؟ ، والأمر لا يحتاج إلى مقامرة أو مغامرة ، ولا مجاملة على حساب حياتي وآخرتي ، فكن جريئًا في قرارك .

ولقد قال لنا النَّبيّ ﷺ عن صفات من نصاحب : « **لا تصاحب إلا مؤمنًا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي** » [أبو داود] .

ويكفيك إرشاد الله تعالى لك ﴿ **وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا**

قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) ﴾ [الكهف : ٢٨] .

ولتعلم أيها الحبيب :

أن كل صحبة لم يكن التفافها على كتاب الله تعالى وعلى سُنَّة النَّبيّ ﷺ فإنها لتنقلب في الآخرة إلا عداوة بالغة ، يقول سبحانه : ﴿ **الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧)** ﴾ [الزخرف : ٦٧] .

ولتعلم أيضًا ، أن هذه الصحبة المؤمنة تنتفع بها في الدنيا كما تنتفع بها في الآخرة ، وإليك هذه المنح الربانية لمن كان مجالسًا للمؤمنين .

يقول النَّبيّ ﷺ : « **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا : هلمُّوا إلى حاجتكم ، قال : فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال : فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم : ما يقول عبادي؟ ، قال : تقول : يسبحونك ، ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك ، قال : فيقول : هل رأوني ؟ ، قال : فيقولون : لا والله يا رب ما رأوك ، قال : فيقول : كيف لو رأوني ؟ ، قال : يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة ، وأشد لك تمجيدًا وأكثر لك تسبيحًا ، قال : فيقول : فما يسألوني ؟ ، قال : يقولون : يسألونك الجنة ، قال : فيقول : وهل رأوها ؟ ، قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال : فيقول : فكيف لو رأوها ؟ ، قال : يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا وأشد لها طلبًا وأعظم فيها رغبة ، قال : فممَّ يتعوذون ؟ ، قال : يقولون : من النار ، قال : فيقول : وهل رأوها ،قال : يقولون : لا والله يارب ما رأوها ، قال : يقول : فكيف لو رأوها ؟ ، قال : يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا ، وأشد لها مخافة ، قال : فيقول : فأُشهدكم أني قد غفرت لهم ، قال : يقول ملك من الملائكة : فيهم**

فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة ؟ ، قال : هم الجلساء لا يشقى جليسهم » .

[البخاري] .

فلك أن تتخيل ذلك إنه لم يأت للجلوس مع هذه الصحبة المؤمنة ، ولكن ما جاء به إلا حاجة أرادها من أحد هؤلاء الجلساء ، ولكن كرامة لهم غفر الله له ذنبه .

وإليك قصة أخرى لترى مدى الانتفاع بهذه الصحبة المؤمنة في الدنيا قبل هذا النفع العميم في الآخرة .

قال النَّبيّ ﷺ : « **انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار ، فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ، فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً فنأى بي في طلب شيء يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً ، فلبثت والقدح على يدي أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة ، فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج ، قال النَّبيّ ﷺ : وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم ، كانت أحب النَّاس إليَّ فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمت بها سنة من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت ، حتى إذا قدرت عليها قالت : لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه ، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ وتركت الذهب الذي أعطيتها ، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه ، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا**

يستطيعون الخروج منها ، قال النَّبيّ ﷺ : وقال الثالث : اللهم إني استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال ، فجاءني بعد حين فقال : يا عبد الله أدِّ إليّ أجري ، فقالت له : كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي ، فقلت : إني لا أستهزئ بك ، فاخذه كله فاستاقه ، فلم يترك منه شيئًا ، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرِّج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون» [رواه البخاري] .

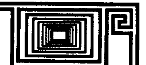
فانظر أيها الحبيب :

هذه الصحبة كيف انتفع كل منهم بعمل صاحبه وما انفرجت الصخرة إلا باجتماع هذه الأعمال الصالحة التي صدرت من جميعهم .

وأخيرًا نوجه لك هذه النصيحة من خلال هذا الإرشاد الرباني، قال سبحانه : ﴿ **وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣)** ﴾ [هود : ١١٣] .

فانظر من تصاحب ، ومن تصادق ، فهذا صاحبي الذي سوف أُحشر معه .





المجلس الثاني والعشرون

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** (٢٠٨) ﴾ [البقرة : ٢٠٨] .

الحديـث :

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ في مجلس : « **تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، فمن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فلم يعاقب به في الدنيا فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له** » [رواه البخاري] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل تعتز يومًا أنك تنتسب إلى هذا الدين ؟ .

هل تعتز حقًا أنك تنتسب إلى هذه الأُمَّة المحمدية ؟ .

لو كان ذلك حقًا وصدقًا لقلنا لك : ماذا تعرف عن الإسلام ؟ ، فما هي معلوماتك عن هذا الدين الذي تنتمي إليه ، وما هي معرفتك بخصائص هذا الدين الذي خُصَّ به دون سائر الأديان .

أيها الحبيب :

إن ربك نادى علينا بأحب النداءات إلى النفوس ، وأمرنا سبحانه أن ندخل في هذا الدين دخولاً شموليًا فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨) ﴾[البقرة : ٢٠٨] .

فأمرك ربك أن تدخل في هذا الدين إجمالاً وتفصيلاً ، أتستطيع أن تعرف لنا الإسلام؟، وما هي مبانيه التي يقوم عليها ، ولماذا كان الدين عند الله الإسلام ، وأن من جاء بغير هذا الدين فلن يُقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين .

فلتعرف أيها الحبيب :

أن علامة محبة الله لعبده أن يشرح صدره لذلك الدين ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾[الأنعام : ١٢٥] .

فالإسلام هو دين الله الذي لا دين له سواه ، ولقد تكفل سبحانه بنصره

وتمكينه وإظهاره على الدين كله ، فهذا الدين الذي تنكر له أكثر الناس وناصبوا أهله العداء وحاربوه بكل ما أوتوا من قوة بشتى الوسائل كان وما زال أسمى مطلب وأشرفه لعقلاء البشر وساداتهم أجمعين فأعاظم الخلق رسل الله أجمعين - عليهم السلام - ابتداء من نبي الله نوح عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، كان الإسلام هو المطلب الخاص لهم به أمروا وعليه حيوا وأغلى أمانيهم أن يتوفاهم الله عليه، تقرأ ذلك واضحًا جليًا في كتاب ربك .

فالإسلام هو الإستسلام والخضوع والانقياد لله رب العالمين وهو مجموع ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والأحكام التي تنظم علاقات الأفراد والأحكام المتعلقة بالحكم والاقتصاد والموارد المالية .

وهذا الدين بُنِيَ كما قال النَّبيّ ﷺ على خمس : « **بُنِيَ الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً** » .

فهو بمثابة النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة ومناهج السلوك للإنسان كما جاء به الرسول ﷺ .

ولقد خُتمت الرسالات السابقة برسالة الإسلام لكمالها ووفائها بحاجات البشر إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً ﴾ [المائدة : ٣] .

ولقد تكفل الله تعالى بحفظ هذه الرسالة ولم يتكفل بحفظ غيرها من الرسالات السابقة حيث كانت كل رسالة مرهونة بوقت معين وأمة مخصوصة غير الإسلام فإنه صالح لكل زمان ومكان إلى قيام الساعة ، كما أن رسولنا الكريم ﷺ

أرسل إلى الناس كافة ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ⁽٩⁾ ﴾ [الحجر :٩] .

أيها الحبيب :

لقد تميزت هذه الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع السابقة بالعديد من الخصائص ، فلقد مُيزت بالشمولية والعموم والمثالية والواقعية وأنها شريعة التوسط والاعتدال وهي شريعة اليسر والرحمة ورفع الحرج ، كما أنها الشريعة التي حفظت مصالح العباد ، وفوق ذلك فهي شريعة ربانية إلهية .

والإسلام أيها الحبيب عقيدة وشريعة دين ودولة ، فهو نظام شامل لجميع شئون الحياة وسلوك الإنسان ، فهذه الشريعة الإسلامية أُنزلت من عند الله تعالى لتسع حياة الإنسان من كل أطرافها ، وحياة المجتمع الإنساني بكل أبعادها فلا تضيق بالحياة ولا تضيق الحياة بها ، وهي الشريعة الوحيدة التي تصل الدنيا بالآخرة ، وترسم طريق السعادة الأبدية وتصل الإنسان بخالقه ومعبوده .

أيها الحبيب :

لابد أن توقن أن الشريعة الإسلام هي الشريعة الوحيدة التي لها الحق في أن تسود وتحكم لأنها من صاحب السلطان الذي له حق التشريع ويجب على كل إنسان أن يخضع ويطيع وينقاد لشريعة ربه سبحانه .

أيها الحبيب :

هل آن الوقت لكي تتعرف على دينك بعد هذا الجفاء الطويل ، وهذه المخاصمة بينك وبين إسلامك، أما آن الأوان أن تعلن وتقول : هذا ديني لا أغفل عنه ولا أنساه .

فلتتعرف على إسلامك ولتتعرف على ربك ولتتغزف على رسولك ، ولتعلن وتقول « رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينًا ، وبمحمد ﷺ رسولاً » .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هيا بنا فلنسارع أن نضع أيدينا في يد النَّبيّ ﷺ حتى نشارك صاحبته في بنود هذه الصفقة التي بايعوا النَّبيّ ﷺ عليها .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس : « **تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرفوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، فمن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فلم يعاقب به في الدنيا فأمره إلى الله ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له** » .

[رواه البخاري] .

أيها الحبيب :

لقد بيَّن لنا النَّبيّ ﷺ أن الإنسان وكأنه يحمل فوق رأسه نفسه ويذهب بها إلى السوق ليقوم بطرحها للبيع ، وأما أن يكون نتيجة هذه الصفقة ربحية محققة أو خسارة محققة ، فلقد قال ﷺ : « **كل الناس يغدوا فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » [مسلم] .

ولعلك تقول: ما هي بضاعتي التي أقوم ببيعها ومع من نعقد هذه الصفقة؟ فلتقف مع كتاب ربك لتعلم مع من تكون هذه الصفقة ، وما هو عوض هذا البيع، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ [التوبة : ١١١] .

وإليك أيها الحبيب بنود هذه البيعة التي تمت بين النَّبيّ ﷺ وبين صحابته ولتسارع أن تنضم إلى هذه الصحبة الصالحة ، لتبايع معهم النَّبيّ ﷺ ، فأول هذه البنود :

البند الأول : أن لا تشركوا بالله شيئًا :

فعليك أولاً بتصحيح الاعتقاد،وأن تعلم أنه لا إله إلا الله ، ولا سبيل للإنسان لتصحيح العقيدة إلا باجتناب الشرك ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[النساء : ٣٦] .

وكانت دعوة الرسل هي دعوة إلى توحيد الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل : ٣٦] .

وقال سبحانه :﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ولقد أمرنا الله تعالى بصيانة الإيمان واجتناب الشرك ، فقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦) ﴾[النساء : ١٣٦] .

البند الثاني : ولا تسرقوا ولا تزنوا :

وهذه أفعال تتنافى مع الإيمان ، فإن ثبت الإيمان في القلب فكان مقتضى ذلك الابتعاد عن المعاصي والموبقات ، خاصة هذه الكبائر ، وقد قال النَّبيّ ﷺ : « **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن** » . فإنها أعمال قادحة في الإيمان ، وهي من معاول هدم ذلك الصرح الإيماني .

البند الثالث : ولا تقتلوا أولادكم :

قال تعالى : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ . [الأنعام : ١٥١] .

وقال سبحانه : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ . [الإسراء : ٣١] .

ولقد بيَّن النَّبيّ ﷺ أنه من أكبر الكبائر أن يقتل الرجل ولده خشية أن يطعم معه .

البند الرابع : ولا تأتوا ببهتان :

أتدري ما البهتان ، إنه الكذب الذي يبهت سامعه ، ولقد خص الأيدي والأرجل بالافتراء لأن معظم الأفعال تقع بهما ، وكأن المعنى : لا ترموا أحداً بكذب تزورونه في أنفسكم ثم تبهتون صاحبه بألسنتكم ، ولذا حذر الله تعالى عن ذلك فقال : ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) ﴾ [النور : ١٥] .

البند الخامس : ولا تعصوني في معروف :

فإياك والخروج عن طاعة الله ، طاعة رسوله ﷺ ولتقف عند حدود ما أنزل الله وما شرع لنا سبحانه ، ولا تتعدى ذلك لا بقول ولا بفعل ولتعلم « إنما الطاعة في المعروف » .

ثم بيَّن النَّبيّ ﷺ جزاء من وفى بهذه البيعة « **فمن وفَّى منكم** » أي ثبت على العهد « **فأجره على الله** » ، فكان العوض لثباته على العهد والوعد الجنة ، وهي سلعة الله الغالية .

أما من ارتكب محذوراً من ذلك فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له على ذلك الذنب ، والله لن يؤاخذه به يوم القيامة حيث لا تجمع عقوبتين على ذنب واحد ، أما من أصاب من ذلك شيئًا وستره الله فأمره إلى الله ، إما أن يؤاخذه الله بذلك الذنب يوم القيامة ، وإما أن يعفو عنه ، فكل ذلك مرجعه إلى مشيئة الله تعالى .

وإذا ارتكب الإنسان شيئًا من ذلك فستره الله فليبادر إلى التوبة والمغفرة ، وليعلم أن ربه واسع المغفرة ، قال تعالى : ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه : ٨٢] .

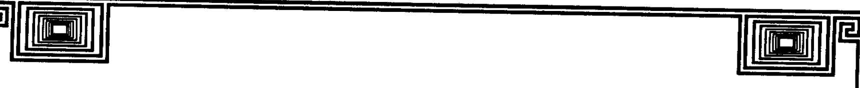
ولكن إياك والاغترار بسعة رحمة الله ، فيزين لك الشيطان المعصية ويدفعك إليها فتغتر بسعة رحمه الله ، فإن رحمة الله لا تنال إلا لمن وصف لنا ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأعراف : ٥٦] .

وكما قال سبحانه : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ ﴾ .

[الأعراف : ١٥٦] .

فلتبادر أيها الحبيب إلى التوبة والإنابة إلى ربك قبل أن يُغلق الباب .

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الزمر : ٥٣] .



المجلس الثالث والعشرون

الآيـــة :

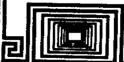
قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴾[هود : ١١٢ – ١١٥] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **إن بني آدم خُلقوا على طبقات شتى ، ألا وإن منهم البطئ الغضب سريع الفيء ، والسريع الغضب سريع الفيء ، والبطيء الغضب البطيء الفيء فتلك بتلك ، إلا وإن منهم البطيء الفيء سريع الغضب ، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء** » [الترمذي] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

يحتاج الإنسان إلى التذكرة دومًا وإلى تجديد الإيمان ، ويحتاج الإنسان أن يتعاهد إيمانه ويسعى لصيانته ورعايته وحمايته من أي عامل من عوامل الهدم .

فلتسمع إلى ما خاطب الله به صفيه وخليله النَّبيّ المختار محمداً ﷺ .

قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴾ [هود : ١١٢ – ١١٥] .

أيها الحبيب :

- هل سعيت في أن تتعرف على سبيل ربك المستقيم ؟.
- هل سعيت أن تتعرف على معالم هذا الطريق التي تميزه عن غيره ؟.
- هل أنت ممن حقق الاستقامة على منهج الله تعالى ؟ .
- وهل أنت تتعاهد إيمانك وتتعاهد خطواتك التي تقطعها في هذا الطريق ؟.

أيها الحبيب :

الداعي إلى صراط الله المستقيم ، والهادي إلى هذا الصراط هو نبينا محمد ﷺ ، فلقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٧٣) ﴾ [المؤمنون : ٧٣] ، ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وهو الذي قال الله تعالى في حقه : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١) ﴾ [الأنعام : ١٦١] .

ولكن ينبغي أن نستمر على هذه الهداية حتى مفارقة الحياه ، لذا قال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩) ﴾ [الحجر : ٩٩] .

لا تفارق هذا المقام حتى مفارقة الدنيا، والله تعالى قد أوصانا بذلك عندما نادى الله علينا وعليك بهذا النداء ، الذي لا يملك الإنسان عند سماعه إلا أن يقول : لبيك ربنا وسعديك والخير بين يديك .

قال الله تعالى مناديًا علينا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

ونادى سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦) ﴾ [النساء : ١٣٦] .

أتراك قد عقلت ما طلب الله منا ، فربك طلب منا أن نكون على طريق الهداية والاستقامة حتى آخر نفس من أنفاسنا فلا تفارق الدنيا إلا على هذه الكلمة التي لا تفتح الجنة إلا بها وهي قول « لا إله إلا الله » .

ولكن نقول لك أيها الحبيب :

هل أنت استقمت أولاً لكي تحافظ على هذه الاستقامة أم أنك أخطأت طريق الاستقامة ؟ .

أتعلم ما هي المقومات التي تؤهل الإنسان أن يستقيم على أمر ربه ، استمع إلى قول ربك : ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ

وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧) ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

فصدق في إيمانه ، وصدق في عباداته ، وصدق في العمل ، وصدق في تصرفاته وسلوكياته ، فتأهل بذلك أن يسير في طريق ربه المستقيم .

أيها الحبيب :

أتدري ما هي الأدوات والوسائل المعينة لسير الإنسان على طريق ربه المستقيم والاستدامة على ذلك، هو كما قال ربك : ﴿ وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ (١١٣) ﴾ [هود:١١٣].

ابحث عن الرفيق وهذه الصحبة التي تقطع معها الطريق ، فالإنسان يحتاج إلى رفيق يصاحبه في هذا الطريق فحذر الله من رفقاء السوء أو هؤلاء الذين غفلوا عن ذكر ربهم وعن طاعته فإياك وإياهم .

وكذا من أعظم هذه الأدوات هو توحيد العلاقة التي بينك وبين ربك خاصة عن طريق الصلاة ، فهي من أعظم الحسنات الماحية ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ (١١٤) ﴾ .

[هود : ١١٤] .

وفوق ذلك توطين النفس على تحمل المشاق والتحلي بخلق الصبر مع يقينك أن ربك لا يضيع أجر المحسنين ﴿ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥) ﴾ .

أيها الحبيب :

فهل فهمت ما هو المطلوب ، فلتشمر ساعد الجد والاجتهاد والعمل ، فقد أزفت الأزافة وآن وقت الرحيل . فلنسارع من قبل أن يُغلق الباب دوننا .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- من أي الناس أنت ؟ .
- هل أنت سريع الغضب سريع الفيء ؟ .
- أم أنك سريع الغضب بطيء الفيء ؟ .
- أم تراك بطيء الغضب بطيء الفيء ؟ .
- أم توصف بأنك بطيء الغضب سريع الفيء ؟ .

أيها الحبيب ، فالناس خُلقوا على طبقات شتى وأنت منهم ولن تخرج في وصفك عن إحدى هذه الأربع ، فلقد قال رسول الله ﷺ : « **إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى ، ألا وإن منهم البطئ الغضب سريع الفيء ،والسريع الغضب سريع الفيء ،والبطيء الغضب البطيء الفيء فتلك بتلك ، إلا وإن منهم البطيء الفيء سريع الغضب ، ألا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفيء ، وشرهم سريع الغضب بطيء الفيء** » [الترمذي] .

فكن أيها الحبيب :

كن من خير الناس ولا تكون إلا من خير الناس بطيء الغضب سريع الفيء، ولقد أوصانا النَّبيّ ﷺ بعدم الغضب ، يقول أبو هريرة رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النَّبيّ ﷺ وقال : علمني شيئًا ولا تكثر عليَّ لعلي أعيهُ ، فقال : « **لا تغضب فردد ذلك مراراً كل ذلك يقول لا تغضب** »[الترمذي] .

فمثِّل نفسك أنك أنت هذا الرجل الذي جاء للنَّبيّ ﷺ وسأله هذا السؤال ،

فما أنت فاعل مع هذه الإجابة التي أوصاك بها حبيبك محمد ﷺ ، أتراك ستنفذ وصية حبيبك إليك ، أم أنك سترى من نفسك إن كنت منفذًا لها أم لا ، أترى ذلك يصلح ممن أسلم وجهه لربه وشهد بالنبوة والرسالة لرسوله ﷺ .

وإليك أيها الحبيب الدافع لمجاهدة النفس حتى لا تغضب على أتفه الأشياء، فلقد حثنا النَّبيّ ﷺ على كظم الغيظ وذكر لنا الجائزة لمن تمثل بهذا الخُلق ، فقال ﷺ : « **من كظم غيظًا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء** » [الترمذي] . فهذا مهر الحور العين كظم الغيظ .

واعلم أيها الحبيب أن خير عطاء الله لعبده أن يرزقه الصبر ، فيكون خُلقه الدائم معه الذي يستصحبه دومًا ولا يتخلف عنه .

فعن أبي سعيد رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا النَّبيّ ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم قال : « **ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ، ومن يستغن يغنه الله ، ومن يستعفف يُعفه الله ، ومن يتصبَّر يصبِّره الله ، وما أُعطى أحد شيئًا هو خير وأوسع من الصبر** » [الترمذي] .

والمسلم يُعرف بحُسن الخُلق وهو خير ما يُثقل به الميزان ، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال : « **ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلُق حسن ، وأن الله ليبغض الفاحش البذيء** » [الترمذي] .

وقال أيضًا ﷺ : « **ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حُسن الخُلق ، وإن صاحب حُسن الخُلق ليبلغ به درجة الصوم والصلاة** » [الترمذي] .

ويكفيك أيها الحبيب أن تتعرف كيف كان خُلق حبيبك محمد لكي تحاكيه في خُلقه وسلوكه ، فقد قالت عائشة رضي الله عنها عندما سُئِلت عن خُلق رسول

الله ﷺ ، فقالت : « **لم يكن فاحشًا ولا متفحشًا ولا صخَّابًا في الأسواق ، ولا يجزيء بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح** »[الترمذي] .

وختامًا :

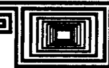
لقد دعانا حبيبنا محمد ﷺ إلى الإحسان والعفو، فقال ﷺ : « **لا تكونوا إمَّعة ، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا ، وإن ظلموا ظلمنا ، ولكن وطِّنوا أنفسكم ، إن أحسن الناس أن تحسنوا ، وإن أساءوا فلا تظلموا** » [الترمذي] .

وختامًا أيها الحبيب :

إليك هذه الوصية الجامعة، فلقد قال رسول الله ﷺ مبينًا لنا المنهج الأخلاقي والسلوكي ، وهي سبيلك لمعاشرة الناس « **اتقِ الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحوها ، وخالق الناس بخُلقٍ حسن** »[الترمذي] .

« اللهم كما حسنت خَلقنا ، فحسن أخلاقنا » .



المجلس الرابع والعشرون

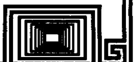
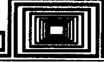
الآيـــــة :

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) ﴾ [آل عمران : ١٣٧] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمِّه أربعين يومًا نطفة ثم علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** » [البخاري] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل لك قراءة في سُنن ربك الكونية ؟ .
- هل تيقنت أن ربك كتب الدمار والهلاك على المكذبين الضالين ؟ .
- هل تيقنت أن ربك لا يخلف الميعاد ، وأن العاقبة للمتقين ؟ .

أيها الحبيب :

لقد حثنا الله تعالى على أن ننظر فيما حدث في الأمم السابقة لنعتبر ونتعظ ونعلم أن سُنن الله ماضية فهذه ديارهم لم تسكن من بعدهم .

قال الله تعالى : ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** (١٣٧) ﴾ [آل عمران : ١٣٧] .

أيها الحبيب :

علينا أن نفكر ما سبب خراب هذه الديار وما سبب هلاك هؤلاء القوم حتى نكون على حذر فلا نقع فيما وقع فيه هؤلاء القوم فنهلك كما هلكوا ، ولقد حذر الله عباده ونبههم ، فقال سبحانه : ﴿ **أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ** (١٠٠) **تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ** (١٠١) ﴾ [الأعراف : ١٠٠ - ١٠١] .

واسمع إلى قول ربك وتذكيره إيانا : ﴿ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا** (٨) **فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ**

عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ⑨ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ⑩ ﴾ [الطلاق : ٨ – ١٠] .

ولقد بيَّن الله لنا ما حدث في الأُمم السابقة لنعتبر ونتعظ ، وكيف أهلكهم الله تعالى ودمرهم تدميرًا : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الآخِرَ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ㊱ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ㊲ وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ㊳ وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ㊴ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ㊵ ﴾ .

[العنكبوت : ٣٦ – ٤٠] .

■ هل علمت وتعلمت ما السبب الذي أهلك الله به هؤلاء القوم ؟ .

■ هل تعلمت سُنن ربك الكونية وأن هذه السُنن لا تعرف المحاباة ؟ .

ولقد بيَّن الله لنا لما حدث ما حدث من انكسار المؤمنين بسبب عدم الصبر والطاعة اللازمة للقيادة ، وذلك في غزوة أُحد ولما تساءل القوم كيف ننهزم من بعد النصر ، فكان هذا الرد البليغ من ربك سبحانه : ﴿ أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑯⑤ ﴾ [آل عمران : ١٦٥] .

وهذا نبينا ﷺ يحذر من الذنوب والمعاصي وكيف تفعل بأهلها ، فكان هذا التحذير ، يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال : «

يا معشر المهاجرين ، خمس إذا ابتليتم بهن ، وأعوذ بالله أن تدركوهن ، إنها أمور والله لقد تعوذ منها النَّبيّ ﷺ » .

أتدري أيها الحبيب ما هي هذه الخمس الذي تعوَّذ النَّبي ﷺ منها ، اسمع وتدبر وتأمَّل وتفكَّر في حالك وأحوال المسلمين من حولك .

قال ﷺ : « **لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا** » .

فهذه واحدة ، فإذا رأيت هذه الأمراض التي استعصت على الأطباء في علاجها ، فإن علاج ذلك موقوف على الطهارة من الأرجاس والقاذورات التي وقع فيها الناس حتى رأوا أنه من المدنية والحضارة ظهور الفاحشة والإعلان عنها ، ونسوا كلام نبيهم ﷺ ونسوا كلام ربهم ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)** ﴾ .

[طه : ١٢٤ - ١٢٦] .

أما الثانية : فلقد قال رسول الله ﷺ « **ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان عليهم** » أترى أن هذا واقع أيها الحبيب ، إن الأمر لبين وواضح لا يحتاج إلى تعليق ، فالأحوال ناطقة بهذا الهم والغم الذي نحن فيه، وكفى في ذلك وعيد الله الذي وكأنه قد محي من مصاحف المسلمين : ﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣)** ﴾ [المطففين : ١ - ٣] .

وإليك الثالثة : فلقد قال رسول الله ﷺ : « **ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنِعُوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يُمطروا** » .

فما تغني صلاة الاستسقاء والحال كما هو مشاهد لقد ضنوا بالمال والمتاع حتى عُبِدَت من دون الله ونسوا كلام نبيهم ﷺ « **تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش** » .

ونسوا كلام ربهم وكأنها آيات محيت من مصاحفهم : ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)** ﴾[التوبة : ٣٤ – ٣٥] .

أما الرابعة : فقد قال رسول الله ﷺ « **ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم** » .

أتراها واقعة ؟ ، أتسأل بعد ذلك لماذا سُلِطَ علينا الأعداء ؟ .

أتسأل بعدذ لك ما سبب ما نحن فيه من الذل والهوان والصغار ؟ .

فوالله لقد هنَّا على الله ، فهُنَّا على أعدائنا ، لقد قام القوم بنفض أيديهم ، من هذه العهود والمواثيق التي أخذها عليهم ربهم وكفى أن نذكرك بالعهد والميثاق الذي أخذهم الله علينا، ونحن في ظهر أبينا آدم ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا** ﴾

[الأعراف : ١٧١] .

فما قمنا برعايته ولا صيانته ولكن الحال طافح بنقض الناس لعهود ربهم

ومواثيقه فماذا تنتظرون بعد ذلك .

رحماك رحماك إلهي .

وإليك الخامسة : ولو لم يكن إلا هذه الخصلة الواقعة فينا لكفت ، قال رسول الله ﷺ : « **وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا ما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم** » .

فما نملك إلا أن نقول : « ربنا لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا » .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨) ﴾

[آل عمران : ٨] .

ولنرفع أيدي الضراعة إلى الملك الديان : يا مقلب المقلوب ثبت قلبي على دينك .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

هل أنت ممن يشك في البعث من بعد الموت ؟ .

هل تدري أمِن السعداء أنت أم من الأشقياء ؟ .

هل تدري ما أجلك وما رزقك ؟ .

لقد كُتب ذلك وأنت جنين في بطن أمك ؟ .

أيها الحبيب :

لقد بين لنا النَّبيّ ﷺ كيف خلق الإنسان وما هي الأطوار التي ينتقل فيها هذا الجنين عندما كان في بطن أمه من طور إلى طور حتى خلق على هذه الهيئة، فلقد قال رسول الله ﷺ : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمِّه أربعين يومًا نطفة ثم علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات ، يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ، فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها** »[البخاري] .

ففي هذا الحديث يدل على أنه يتقلب في مائة وعشرين يومًا في ثلاثة أطوار في كل أربعين منها يكون في طور ، فيكون في الأربعين الأولى نطفة ، ثم في الأربعين الثانية علقة ، ثم في الأربعين الثالثة مضغة ثم بعد المائة وعشرين يومًا ينفخ الملك فيه الروح ويكتب له هذه الأربع كلمات .

ولقد بيَّن الله سبحانه إمكانية هذا البعث من بعد الموت مستدلاً بذلك على خلق الإنسان ، فقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى** ﴾ [الحج : ٥] .

أيها الحبيب أتدري كيف ينتقل هذا الجنين في بطن أمّه من طور إلى طور ؟، ذلك أن ربك وكل بذلك ملكًا ، يقول النَّبيّ ﷺ : « **وَكَّلَ الله بالرحم ملكًا يقول : أي رب نطفة ، أي رب علقة ، أي رب مضغة ، فإذا أراد الله أن يقضي خلقًا قال : يارب ، أذكر أم أنثى ؟ ، أشقي أم سعيد ؟ ، فما الرزق ؟ ، فما الأجل ؟ ، فيكتب كذلك في بطن أمّه** » [البخاري] .

وهذه الكتابة التي تكتبُ للجنين في بطن أمه غير كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢)** ﴾ [الحديد : ٢٢] .

وقال النَّبيّ ﷺ : « **إن الله قدَّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** » .

أتدري أيها الحبيب :

أتدري كيف تمت هذه الكتابة لمقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، كيف تمت في اللوح المحفوظ ، قال النَّبيّ ﷺ : « **أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة** » .
[أبو داود] .

ولتعلم أن السعادة والشقاوة قد سبق الكتاب بهما ، وأن ذلك مقدر بحسب الأعمال ، وأن كلٌ ميسَّر لما خُلِقَ له من الأعمال التي هي سبب للسعادة أو الشقاوة ، يقول النَّبيّ ﷺ : « **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها**

من الجنة أو النار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة» ، فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ، فقال ﷺ : « **اعملوا فكلٌ مُيسر لما خُلِقَ له ، أما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاوة فيُيَسرون لعمل أهل الشقاوة ، ثم قرأ :** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ ﴾ » [البخاري] .

احذر أن تركن إلى ما سبق من أعمال الخير السابقة التي قمت بها ، فما ينبغي بصرك أن ينصرف عن آخر خطوات نخطوها في أعمارنا ، فلقد قال النَّبيّ ﷺ : « **إن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل الجنة ، ثم يختم له عمله بعمل أهل النار ، وإن الرجل ليعمل الزمان الطويل بعمل أهل النار ، ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة** » .

فلا تندفع إلى تزكية فلان وفلان ، فإننا لا ندري بمَ يُختم له ، وكما قال النَّبيّ ﷺ « **إنما الأعمال بالخواتيم** » .

وقال النَّبيّ ﷺ : « **لا عليكم أن لا تعجبوا بأحد حتى تنظروا بم يختم له ، فإن العامل يعمل زمانًا من عمره أو برهة من دهره بعمل صالح لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئًا ، وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيء لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحًا** » [مُسند الإمام أحمد] .

وانظر أيها الحبيب :

انظر إلى نبيك ﷺ وقد خرج على الصحابة = وفي يده كتابان ، أتدري ما هذان الكتابان اللذين في يد النَّبيّ ﷺ وخرج بها على الصحابة يحكي لنا ذلك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيقول : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال : « **أتدرون ما هذان الكتابان ؟** » ، فقلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا ، «**فقال**

للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أبائهم وقبائلهم قد أجمل على آخرهم ، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً ، ثم قال للذي في شماله : هذا كتاب رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء أبائهم وقبائلهم قد أجمل على آخرهم فلا يزادَ فيهم ولا ينقص فيهم أبداً » ، فقال الصحابة ﭫ : ففيم العمل يا رسول الله ، إن كان أمراً قد فرغ منه ؟ ، فقال ﷺ : « **سددوا وقاربوا ، فإن صاحب الجنة يُختم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل ، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النَّار ، وإن عمل أي عمل** » ، ثم قال رسول الله ﷺ بيده فنبذهما ثم قال : « **فرغ ربكم من العباد ، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير** »[مُسند الإمام أحمد] .

ختاماً أيها الحبيب :

نقول لك الخواتيم ميراث السوابق ، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق ، ومن هنا كان الصحابة ومن بعدهم السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق ويشتد قلقهم وجزعهم منه ، فالمؤمن يخاف على نفسه النفاق الأصغر ويخاف أن يقلب ذلك عليه عند الخاتمة فيخرجه إلى النفاق الأكبر .

وهذا نبينا ﷺ كان يكثر أن يقول : « **يا مُقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » ، فقيل له : يا نبي الله آمنَّا بك وبما جئت به ، فهل تخاف علينا ؟ ، فقال : «**نعم ، إن القلوب بين اصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف يشاء** »[مُسند الإمام أحمد] .

فلا تدع أيها الحبيب أن تقول : « **اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » .

وليكن دعاؤك : ﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)** ﴾[آل عمران : ٩] .



المجلس الخامس والعشرون

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111) ﴾ [التوبة : ١١١] .

الحديـث :

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ : « **اتقِ الله حيثما كنت وأَتْبع السيئة الحسنة تمحوها ، وخالق النَّاس بخلق حسن** » [الترمذي] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

ما من يوم يمر إلا ونحن نبايع فلانًا أو فلانًا ، فهلا فكرت يومًا أن تبيع وتشتري مع ربك ؟ .

لعلك تقول : وكيف السبيل إلى ذلك ؟ ، نقول هذا سهل وميسور ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١)** ﴾ [التوبة : ١١١] .

ولكن انتبه !! ، إن المؤمن الذي باع واشترى مع ربه سبحانه له أوصاف وصفات ذكرها الله تعالى ، فلا يتبقى منك إن كنت صادقًا في إرادة عقد هذه الصفقة مع ربك إلا أن تسعى في تحقيق هذه الصفات التي بينها الله لنا في قوله سبحانه : ﴿ **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)** ﴾ . [التوبة : ١١٢] .

ولتعلم أيها الحبيب :

أن هذه الصفقة لا تعقد إلا مع رجال لم ينشغلوا بالدنيا عن آخرتهم ولم ينشغلوا بدنياهم عن ربهم خالقهم ورازقهم ﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ**

اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (٣٧) ﴾ .

[النور : ٣٦ – ٣٧] .

أيها الحبيب :

إن كنت تسعى حقًا في إنقاذ رقبتك من النيران ، وإن كنت تسعى جادًا أن تساكن الجنة ، فعليك أن تبادر إلى عقد هذه الصفقة ، كما دلنا عليها الملك الديان ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١)** ﴾ [الصف : ١١] .

أتدري ما الثمرة المرجوة من هذه الصفقة ؟ ﴿ **يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٢) وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١٣)** ﴾ [الصف :١٢–١٣] .

ولقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يبايعون النَّبيّ ﷺ على أمثال هذه الصفقات ، فهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول : إن رسول الله ﷺ قال : وحوله عصابة من أصحابه ، « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتون ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفَّى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب به في الدنيا فهو كفَّارة له ،.ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه** » فبايعناه على ذلك [البخاري ، كتاب الإيمان] .

وانظر إلى هذا الصحابي الجليل جرير بن عبد الله رضي الله عنه في مبايعته للنَّبيّ ﷺ قال : « **بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم** » [مسلم/ ك الإيمان ، باب الدين النصيحة] .

وانظر كيف وفّى بهذه البيعة التي عقدها مع النّبيّ ﷺ .

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ :

أن جريراً أمر مولاه أن يشتري له فرساً فاشترى له فرساً بثلاثمائة درهم ، وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن ، فقال جرير لصاحب الفرس : فرسك خير من ثلاثمائة درهم ، أتبيعه بأربعمائة درهم ؟ ، قال : ذلك إليك يا أبا عبد الله ، فقال : فرسك خير من ذلك ، أتبيعه بخمسمائة درهم ؟ ، ثم لم يزل يزيده مائة مائة وصاحبه يرضى وجرير يقول : فرسك خير من ذلك إلى أن بلغ ثمانمائة درهم فاشتراه بها ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم .

فانظر : كيف كانوا يصدقون ربهم في بيعهم وعهده ، فوالله ما غرتهم الدنيا بزينتها ، فإنهم والله ما غفلوا عن طلب الآخرة فباعوا الدنيا رخيصة ولم يرضوا بالجنة بديلاً .

ولقد قال النّبيّ ﷺ مبينًا لنا حال الإنسان : « **كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها** » [مسلم] .

فما منا من أحد إلا وهو يحمل نفسه لكي يقوم بطرحها للبيع ، فما هي بضاعتك التي تلقى بها ربك غداً .

أيها الحبيب :

هذه بضاعتنا التي نلقى بها ربنا : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [فاطر : ٢٩] .

أتدري ما هي ثمرة هذه الصفقة ، ما هي الربحية المحققة ﴿ **لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ** ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر : ٣٠] .

فلتسارع ولتبادر ولا تُسبق فلا يسبقك أحد إلى ذلك .

أيها الحبيب ختاماً نقول لك :

أتدري ما معنى أنك بعت مع ربك، أي أنك قدمت النفس والمال في مقابل هذه الربحية المرصودة، ألا وهي الجنة ، ثم نقول: أتدري ما معنى أنك عقدت صفقة مع ربك على أن تبذل له مالك؟،أي تكتسبه من طيب وتنفقه في طيب.

أوتدري ما معنى أنك عقدت صفقة مع ربك على أن تبذل له نفسك؟ أن كل أوقاتك ملك لربك فلا تصرفها إلا في محابه ومرضاته .

وبعد أيها الحبيب فلتتقدم لهذه الصفقة ولا تتخاذل ولا تتقاعس وكن مع هذه الطائفة التي قال عنها ربك ﴿ **رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ** ﴾ .

[الأحزاب : ٢٣] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الحبيب :

إن انهيار كل خلق من مكارم الأخلاق يقابله دائمًا انقطاع رابطة من الروابط الاجتماعية فإذا انهارات أخلاقيات الأفراد إنهار خُلق المجتمع وانقطعت بذلك جميع الروابط الاجتماعية وأمسى المجتمع مفككًا منحلاً .

لذا وضع لنا النَّبيّ ﷺ هذا المنهج الخلقي العام والذي يمثل قواعد السلوك في كلمات قليلة معدودة ، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «**اتقِ الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحوها وخالق الناس بخلق حسن**» [رواه الترمذي في البر والصلة ، وقال : حديث حسن] .

فهذا الحديث يمثل قواعد السلوك العامة :

القاعدة الأولى :

علاقة الإنسان بربه « **اتق الله حيثما كنت** » ، تقوى الله في أي مكان ظاهر أو خفي يكون فيه الإنسان ، لأن الإنسان حينما يتقي ربه في كل أحواله الظاهرة والباطنة ، فلابد أن يكون مخلصًا لله في تقواه .

القاعدة الثانية :

إرشاد إلى منهج الإصلاح والتقويم وتدارك النهوض بالنفس بعد سقوطها بارتكاب السيئة « **وأتبع السيئة الحسنة تمحوها** » .

القاعدة الثالثة :

تحدد المنهج العام الذي يجب على الإنسان أن يسلكه في علاقاته بالناس

وعنوان هذا المنهج « **خالق الناس بخلق حسن** » .

فهذه الوصية وصية عظيمة جامعة لحقوق الله ولحقوق عباده ، فإن حق الله على عباده أن يتقوه حق تقاته ، والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ** ﴾[النساء : ١٣١] .

وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه ، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه ، لذا قال الله تعالى : ﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ** ﴾[آل عمران : ٢٨] .

وقال سبحانه : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)** ﴾[الحشر : ١٨] .

وقال سبحانه : ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ (٢٨١)** ﴾[البقرة : ٢٨١] .

قال طلق بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله .

وفي الجملة فالتقوى هي وصية الله لجميع خلقه ، ووصية رسول الله ﷺ لأمَّته ، فالتقوى أن تتقي الله في السر والعلانية حيث يراك الناس ، وحيث لا يرونك فإن من علم أن الله يراه حيث كان وأنه مطلع على باطنه وظاهره وسره وعلانيته ، واستحضر ذلك في خلواته أوجب له ذلك ترك المعاصي في السر ، وإلى هذا المعنى الإشارة في كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ **وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾[النساء : ١] .

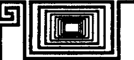
وقد وصى الله المتقين في كتابه بمثل ما وصى النَّبيّ ﷺ ، في هذه الوصية قال

الله تعالى : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) ﴾ [آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

فوصف الله المتقين بمعاملة الخلق بالإحسان إليهم ، بالإنفاق وكظم الغيظ والعفو عنهم ، فجمع بين وصفهم ببذل الندى واحتمال الأذى ، وهذا هو غاية حُسن الخُلق الذي وصى به النَّبيّ ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه .

وكان النَّبيّ ﷺ يقول في دعائه : « **اللهم إني أسألك الهدى والتُّقى ، والعفاف والغنى** » [رواه مسلم في الذكر] .






المجلس السادس والعشرون



الآيـــــة :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢) ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

الحديـــث :

قال رسول الله ﷺ : « **أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، من إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر** » [متفق عليه] .






بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- ماذا لو كان النَّبيّ ﷺ بيننا ؟ .
- وماذا لو نادى عليك وقال : يا فلان بن فلان تعالى لأبايعك ؟ .
- فما هو تصرفك في تلك اللحظة هل فعلاً ستتقدم بلا تردد وتسابق وتسارع لكي تضع يدك في يد النَّبيّ ﷺ لتبايعه أم ستترك يد النَّبيّ ﷺ ممدودة وتوليه ظهرك مدبراً ؟ .

أيها الحبيب :

قد يتبادر إلى قلبك وفكرك ما هي بنود هذه البيعة التي أبايع عليها النَّبيّ ﷺ ؟ ، لقلنا لك إنها نفس بنود بيعة النساء التي أمر الله رسوله ﷺ أن يبايع عليها النساء، فلتسمع إلى قول ربك : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلا يَسْرِقْنَ وَلا يَزْنِينَ وَلا يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** (١٢) ﴾ [الممتحنة : ١٢] .

أيها الحبيب :

لعلك تقول أن هذه بيعة تختص بالنساء ، فما لي ولها ؟ .

لقلنا : مهلاً أيها الحبيب ، فهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه يقول : أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابه من أصحابه : « **بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم**

وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له » [البخاري / ك الإيمان / باب علامة الإيمان حُب الأنصار] .

فلا سبيل لك إلا أن تمد يدك لتبايع رسولك ﷺ كما بايعته الصحابة ، وعليك أن تتعلم كيف تفي بهذه البنود على خير قيام ، لتعلم أنه لا سبيل إلا بالتعرف من الداخل على ما يتضمنه كل بند من هذه البنود .

أن تسعى لتحقيق هذه البنود، فالبند الأول من بنود هذه البيعة ألا وهو أن لا تُشرك بالله شيئًا ويكفيك في ذلك إن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾[النساء : ١٣٦] .

فكل ذنب يكون في مشيئة الله إن شاء غفره وإن شاء عذب صاحبه إلا الشرك، فإنه لا يغفر، فإن الشرك محبط للأعمال كما قال الله سبحانه : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) ﴾ [الزمر : ٦٥ – ٦٦] .

فإن عبادتك لربك لا تصلح ولا تقبل إلا باجتناب الشرك ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[النساء : ٣٦] .

ويكفيك في التنبيه على أهمية هذا الأمر أن الله لما ذكر سادات الأولياء بيَّن سبحانه أنه لو أتى أحد منهم بشرك ، فإنه لطاح بعمله فكان هباءً منثوراً .

﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا

وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) ﴾ [الأنعام : ٨٣ – ٨٨] .

فنقول لك أيها الحبيب :

لقد أمرنا الله باجتناب الشرك وصيانة ورعاية هذا الإيمان ، ولقد نادى الله علينا بأحب هذه النداءات إلى القلوب والنفوس مذكرًا إيانا بالإيمان ، لأنه العامل الدافع لالتزام الإنسان لطاعة ربه سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيدًا (١٣٦) ﴾ [النساء : ١٣٦] .

وقد بيَّن سبحانه أنه بعث كل رسول إلى قومه ليدعوهم إلى إخلاص هذا الدين لله واجتناب الشرك ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] .

وقال سبحانه مبينًا أنه لا سبيل لصيانة الإنسان لكلمة التوحيد التي دعانا الله أن نتمسك بها ولا نموت إلا عليها إلا بالكفر بالطاغوت ، الكفر بكل إله يُعبد من دون الله ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ﴾ .

[البقرة : ٢٥٦] .

فنقول أيها الحبيب :

- هل تدري ما الشرك وما هي صوره؟ ، المطلوب منك أن تكون بعيداً عنها .
- وهل تدري ما الإيمان ؟ وكيف السبيل لإقامة هذا الصرح الإيماني والمحافظة عليه وصيانته ورعايته من أي عامل من عوامل الهدم ؟ .

- هل تدري كيف تحقق الإيمان بالله ؟ .
- هل تدري كيف تحقق الإيمان باليوم الآخر ؟.
- وهل تدري كيف تحقق الإيمان بالقدر خيره وشره ؟ .
- وهل تدري كيف تحقق الإيمان بالملائكة والكتب والرُّسل ؟ .

أيها الحبيب :

لا سبيل إلى ذلك ولا سبيل لإنقاذ النفس وصيانة الإيمان ، إلا أن نتعلم هذا الإيمان وصوره وكيفية تحقيقه كما علم النَّبيّ ﷺ الصحابة ﷺ فهو سبيل الإنسان للفوز والسعادة في الدارين ، وسبيلك إلى الجنة بإذن الله تعالى ، فلتشمر ساعد الجد والعمل ، فقد أوشك المنادي أن ينادي : الرحيل الرحيل .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- أتخشى على نفسك النفاق ؟ .
- أتدري ما هي العلامات التي يعرف بها المنافق ؟ .
- أتدري ما هو النفاق الأكبر ، وما هو النفاق الأصغر ؟ .

أيها الحبيب :

إليك علامات النفاق التي بينها لنا الحبيب محمد ﷺ ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان** » [البخاري] .

وقال أيضًا ﷺ : « **أربع من كُن فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها ، من إذا حدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا خاصم فجر ، وإذا عاهد غدر** » [متفق عليه] .

اعلم أيها الحبيب :

أن النفاق من جنس المكر والخداع وهو إظهار الخير وإبطان خلافه ، والنفاق منه نفاق أكبر ومنه نفاق أصغر .

والنفاق الأكبر :

وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، ويظهر أنه يؤمن بالقدر خيره وشره ويبطن في قلبه ما يناقض ذلك كله أو بعضه، ولقد أنزل الله الآيات في شأن هؤلاء بذمهم وتكفيرهم وأخبر سبحانه أن محلهم

في جهنم في الدرك الأسفل من النار ، ولقد قال في شأنهم ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلاً (١٤٢) مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَلا إِلَىٰ هَٰؤُلاءِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (١٤٣) ﴾ [النساء : ١٤٢ -١٤٣] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٥] .

أما النفاق الأصغر : « وهو نفاق العمل » ، وهو أن يُظهر الإنسان علانية صالحة ويبطن ما يخالف ذلك ، وأصول هذا النفاق ترجع إلى الخصال المذكورة في الأحاديث وهي خمسة :

الأولى : أن يحدِّث بحديث لمن يصدقه به وهو كاذب له :

ولقد قال النَّبيّ ﷺ : « **كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثًا هو لك مصدق ، وأنت له كاذب** » [مُسند الإمام أحمد] .

الثانية : إذا وعد أخلف :

فمن وعد وكان في نيته أن لا يفي بوعده فهذا منافق ، ولقد قال رسول الله ﷺ : « **إذا وعد الرجل ونوى أن يفي فلم يف فلا جناع عليه** » [أبو داود] .

الثالثة : إذا خاصم فجر :

ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمداً حتى يصير الحق باطلاً والباطل حقًا وهذا مما يدعوا إلى الكذب ، ولذا قال النَّبيّ ﷺ : « **إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهوي إلى النار** » [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « **إن أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخصم** » [متفق عليه] .

ولقد حذر النَّبيّ ﷺ من هذا الخُلق السيء وهو تلاعب الإنسان بالكلام ،

فقال ﷺ : « **إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض ، وإنما أقضي على نحو مما أسمع ، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار** » [متفق عليه] .

فاحذر أن تخاصم في باطل ، فلقد قال ﷺ : « **من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع** » [أبو داود] .

الرابعة : إذا عاهد غدر ولم يفِ بالعهد :

وقد أمر الله بالوفاء بالعهد ، فقال سبحانه : ﴿ **وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً** ﴾[الإسراء : ٣٤] .

وقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)** ﴾[آل عمران : ٧٧] .

كيف يفعل الغدر بأهله ، قال ﷺ : « **لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به فلان** » [متفق عليه] .

وقال أيضًا ﷺ : « **إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة ، فيقال ألا هذه غدرة فلان** » [متفق عليه] .

وقال ﷺ : « **ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ــ فذكر منهم ــ ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه ما يريد وفَّي له ، وإلا لم يف له** » [متفق عليه] .

الخامسة : الخيانة في الأمانة :

ولقد أمرنا الله تعالى بأداء الأمانة وعدم الخيانة ، فقال سبحانه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا** ﴾[النساء : ٥٨] .

وقال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧) ﴾ [الأنفال : ٢٧] .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

أيها الحبيب : هل تأمن على نفسك النفاق ؟ .

اسمع أولاً قبل الإجابة ، استمع إلى قول ابن أبي مليكة ـ رحمه الله ـ يقول : « أدركت ثلاثين من أصحاب النَّبيّ ﷺ كل منهم يخشى على نفسه النفاق ، ما منهم من أحد يقول : أن إيمانه كإيمان جبرائيل وميكائيل » [البخاري] .

أبعد هذا القول ترى أنك لا تخشى على نفسك النفاق ، واسمع إلى قول الحسن البصري قال : « لا يخافه إلا المؤمن ، ولا يأمنه إلا المنافق » .

واعلم أن من أعظم خصال النفاق العملي :

أن يعمل الإنسان عملاً ويظهر أنه قصد به الخير ، وإنما ما أراد في الحقيقة إلا أن يصل إلى غرض سيء أضمر ذلك في نفسه ، فيتوصل بهذه الخديعة إلى أغراضه ويفرح بمكره وخداعه ، وحمد الناس له على ما أظهر وتوصل به إلى غرضه السيء الذي أبطنه في نفسه .

وختاماً نقول :

ليس دنيا إلا بدين وليس الدين إلا مكارم الأخلاق
إنما المكر والخديعة في النار هما من خصال أهل النفاق

« اللهم جنبنا من منكرات الأخلاق » .





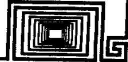

المجلس السابع والعشرون

الآيـــة :

قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد : ٨ – ١١] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون** » [البخاري] .

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- ماذا تعرف عن ربك الذي تعبده ؟ .
- هل تعرفت على ربك بأسمائه وصفاته ؟ .
- هل تعرفت على ربوبيته وألوهيته ؟ .

أيها الحبيب :

إن ربك يوصف بأوصاف ينبغي عليك أن تتعرف عليه من خلال هذه الأوصاف ، لكي تنظر في حالك وتقول : كيف أعبد ربي بهذه الصفة وما أثر معرفتي بهذه الصفة على عباداتي وسلوكي وتصرفاتي ، ومما يوصف به الله تعالى العلم والقدر ، وأن ربك واسع عليم يعلم سرك وعلانيتك .

يقول الله تعالى : ﴿ **اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ .

[الرعد : ٨ – ١١] .

أتدري أيها الحبيب ما هو مدلول وما مفهوم هذه الآية ؟ .

إن الآية لتتكلم عن عموم علم الله وسعة علمه واطلاعه وإحاطته بكل شيء، فربك يعلم ما تحمل كل أنثى سواء من بني آدم أو من غيرهم ، وما يغيض هذا الرحم أي ينقص مما فيها ، إما أن يهلك الحمل أو يتضاءل أو يضمحل ، أو ما

تزداد به الأرحام وتكبر الأجنة التي فيها ، وكل هذه الأمور عند ربك بمقدار لا يتقدم عليه ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص إلا بما تقتضيه حكمته وعلمه ، فهو سبحانه يعلم الغيب ويعلم الشهادة وهو الكبير في ذاته وفي أسمائه وصفاته ، متعال على جميع خلقه بذاته وقدرته وقهره ، وهو يعلم ما أنتم عليه سواء جهر الإنسان بالكلام أو استسر بالكلام في نفسه ، وسواء كان مستخفيًا في ظلمة الليل أو قابعًا داخل سربه في النهار .

فربك عليم بعلم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات ، فربك يعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم ، وشقاوتهم وسعادتهم ومن منا من أهل الجنة ومن منا من أهل النار ، بل يعلم عدد أنفاسك ولحظاتك وجميع حركاتك وسكناتك ، بل يعلم أين تقع ، ومتى تقع وكيف تقع كل ذلك بعلمه سبحانه ، فإنك لا تخفى على ربك ولا يخفى عليه من حالك خافية .

أيها الحبيب :

ينبغي أن يكون مستقرًا في داخلك وأقرَّ قلبك أن ربك الذي تعبده لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا في الدنيا ولا في الآخرة ، بل احذر فربك يعلم خواطر وواردات قلبك ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[البقرة : ٢٣٥] .

فربك كما قال : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ** (٥) ﴾ [آل عمران : ٥] .

فما لك إلا أن تقول : ﴿ **وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا** ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

ولما لا وهو القائل سبحانه : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا**

يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام : ٥٩] .

فلنقل عند ذلك معترفين ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [إبراهيم : ٣٨] .

أيها الحبيب :

لقد استأثر ربك بعلم أمور لم يطلع عليها نبي مرسل ولا ملكٌ مُقرب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

[لقمان : ٣٤] .

أيها الحبيب :

انظر إلى سعة علمه سبحانه كما ذكر ذلك الخضر عليه السلام لموسى عليه السلام ، قال : « **يا موسى ، إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه** » ، إلى أن قال : فركبا في السفينة قال : ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر ، فقال الخضر لموسى عليه السلام : ما علمك وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره .

فربك علم ما كان وما سيكون بل وعلم ما لم يكن من الممكنات والمستحيلات لو كان كيف يكون ، فقال سبحانه عن حال الفجار والكفار عند المعاينة عندما يقولون ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الأنعام : ٢٧ - ٢٨] .

أيها الحبيب :

هل سعيت لترى قلبك مشهد علم ربك المحيط ثم تتعبد بمقتضى هذا

الشهود من حراسة خواطرك وإراداتك وجميع أحوالك وأقوالك وأفعالك وأنت موقن من أن جميع أحوالك ظاهرة مكشوفة لدى ربك الذي تعبده فكنت مراقبًا لأقوالك هذه الكلمة أتكلم بها وهذه لا أتكلم بها .

وكنت مراقبًا لحركاتك وسكناتك هنا أتحرك وهنا أسكن ، وكنت مراقبًا لأفعالك هذا أفعله وهذا لا أفعله ، لأنك تتعامل مع رب قد أحاط بكل شيء علمًا يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معنا أينما كنا ، فإنه سبحانه لا تخفى عليه خافية بل يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل فكرت يومًا أن توطد العلاقة بينك وبين ملائكة الرحمن ؟ .
- أحريصٌ أنت على أن يسطر اسمك في كل يوم في ديوان الملائكة ؟ .
- هل أن تحسن صحبة هؤلاء الملائكة الكرام الكتبة ؟ .
- هل أنت ممن تشهد لهم الملائكة عند ربهم سبحانه عندما يسألهم سبحانه وتعالى عنا أم أن اسمك لا يذكر عند ربك ؟ .

أيها الحبيب :

لقد ذكر لنا النَّبيّ ﷺ أن ملائكة الليل والنهار يجتمعون بنا مرتين في اليوم مرة في الصلاة الفجر والأخرى في صلاة العصر .

قال رسول الله ﷺ : « **يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبادي فيقولون : تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون** »[البخاري] .

أيها الحبيب :

فهل سُطر اسمك في ديوان الملائكة ؟ ، إن الصلاة أعلى العبادات ، لأنه عنها وقع السؤال والجواب ، وفيه بيان لعظم هاتين الصلاتين لكونهما تجتمع فيها الطائفتان وفيه بيان وشرف هذين الوقتين ، فالرزق يقسم بعد صلاة الصبح ، والأعمال تُرفع آخر النهار ، فمن كانت حينئذ في طاعة بُورك في رزقه وعمله ،

والمؤمن يفرح بقدوم رسل ربه وسؤال ربه عنه ، وكفاك فخراً وشرفًا أن يسأل عنك ربك وأن تكون محبوبًا عند رسل ربك الكرام البررة .

أيها الحبيب :

احرص على شهادة الملائكة لك عند ربك ، فإنهم يقولون لربهم عندما يسألهم عن عباده فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون ، والحكمة في اجتماعهم في هاتين الصلاتين من لطف الله تعالى بعباده وإكرامه لهم بأن جعل سبحانه اجتماع ملائكته في حال طاعة عباده لتكون شهادتهم لهم أحسن شهادة .

وإليك أيها الحبيب هذه النصيحة النبوية من حبيبنا محمد ﷺ ، حيث قال : « **فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ، ثم قرأ** : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ .

[ق : ٣٩] .

فلقد خص النَّبيّ ﷺ هذين الوقتين لاجتماع الملائكة فيهما ، ورفعهم أعمال العباد لئلا يفوتنا هذا الفضل العظيم .

فاحذر من الغفلة !! ، أتنام أيها الإنسان عن صلاة تحضرها الملائكة ، أتنام عن صلاة الفجر التي تحضرها الملائكة والتي كانت النساء المؤمنات لحريصات على حضورها وهن لم تكتب عليهن صلاة الجماعة .

تقول عائشة رضي الله عنها : « **كن نساء المؤمنات يشهدن مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر متلفعات بمروطهن ، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفهن أحد من الغلس** » [أبو داود] .

ويكفيك أيها الحبيب أن تتعرف على فضل صلاة الفجر لكي تسابق على

حضورها حيث ينادى بها فلا يسبقك إليها أحد ، فلقد قال رسول الله ﷺ : «**من صلى البردين دخل الجنة**» [البخاري] . والبردين صلاة الفجر والعصر .

ولقد بيَّن الله تعالى لنا أن الملائكة تجتمع في صلاة الفجر يستمعون إلى آيات الله التي تتلى في صلاة الفجر ، فقال سبحانه : ﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾ [الإسراء : ٧٨] . فهي صلاة مشهودة من الملائكة .

أتدري ما هي ثمرة المحافظة على هاتين الصلاتين ؟ .

فاسمع أيها الحبيب :

فعن جرير رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ** ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴾ [ق : ٣٩] .

[البخاري] .

واحذر من فوات صلاة العصر وتأخيرها ، فلقد قال النَّبيّ ﷺ عمن ترك صلاة العصر حتى خرج وقتها : « **من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله** » .

[البخاري] .

وقال ﷺ عمن يأخرها عن وقتها المختار : « **الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله** » [البخاري] .

فلتسارع أيها الحبيب إلى إعادة تقييم أدائك لهذه الصلوات ولتحافظ على أوقاتها ، ويكفيك قول النَّبيّ ﷺ : « **خمس صلوات افترضهن الله عز وجل من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن وأتمَّ ركوعهن ، وخشوعهن كان له على الله عهد أن يُغفر له ، ومن لم يفعل فليس له على الله عهد إن شاء غفر له وإن**

شاء عذبه » [أبو داود] .

واعلم أيها الحبيب أن هذه الصلوات يمحو الله بها الخطايا ، ولقد قال النَّبيّ ﷺ : « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ،هل يبقى من درنه شيء ؟** » ، قالوا : لا يبقي من درنه شيء ، قال : « **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا** » [متفق عليه] .

احذر أيها الحبيب :

احذر النفاق على نفسك ، فلقد قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « من سره أن يلقى الله غداً مسلمًا فليصل هذه الصلوات الخمس حيث ينادي بهن، فالله شرع سُنن الهدى وإنهن من سُنن الهدى ، وإنكم لو صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سُنَّة نبيكم ، ولو تركتم سُنَّة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف » [مسلم] .

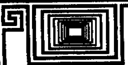
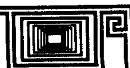
واحذر على نفسك من صلاة المنافقين ، فلقد قال عنه النَّبيّ ﷺ : « **فإنه يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعًا ، لا يذكر الله فيها إلا قليلاً** » [الترمذي] .

ويكفيك قول ربك سبحانه : ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً** (١٤٢) ﴾

[النساء : ١٤٢] .

ولتحافظ على قول ربك : ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا** ﴾

[النساء : ١٠٣] .

المجلس الثامن والعشرون

الآيــــة :

قال الله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) ﴾ .

[الجاثية : ٢١] .

الحديـث :

قـال رسـول الله ﷺ : « **لو كـان لابن آدم واديًا من ذهـب لأحب أن يكون له ثانيًا ، ولا يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » .

[الترمذي] .






بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

ما ظنك بربك ؟! ، أتظن أن الله خلقنا وتركنا هملاً لا يأمرنا ولا ينهانا ، وبالتالي لا يجازينا ولا يحاسبنا ؟ .

أتظن أن الله سيسوي بين الطائعين والعاصين ، بين البر والفاجر ، بين المؤمن والكافر يوم القيامة ؟ .

فلتسمع الأذن ولتنصت القلب ، قال الله تعالى : ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** (٢١) ﴾ [الجاثية : ٢١] .

فالكافر يعيش في الدتيا على المعاصي والذنوب ، والمؤمن يعيش في الدنيا على الطاعات والقربات ثم يرد الجميع إلى ربهم فيجازيهم على أعمالهم ، فهل تظن أن ربك سيساوي بين المؤمنين والكافرين في الحساب يوم القيامة ، إنه لظن سيىء : ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ** (٣٥) **مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** (٣٦) ﴾ .

[القلم : ٣٥ – ٣٦] .

أيها الحبيب :

- هل اختبرت عقيدتك في الإيمان باليوم الآخر وبالجزاء والحساب على رب العباد في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة .
- وهل تؤمن حقًا بالبعث من بعد الموت ؟ .
- وهل تؤمن بأنك ستعرض وعملك على ربك ليوفيك جزاء أعمالك ؟ .

■ وهل لسان حالك يشبه لسان مقالك في الإيمان بالبعث من بعد الموت ؟ .

أيها الحبيب :

لقد نبهنا الله في مواضع كثيرة على قضية البعث من بعد الموت حتى تكون قضية حية في قلوبنا ، فإنه لا ضابط لسلوك وأعمال الإنسان إلا بضبط عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، ومنها عقيدة البعث والجزاء ، وإنه لمن الظن السيىء أن يظن الإنسان أنه يموت ولا حياة بعد ذلك .

استمع إلى قول الله تعالى كيف يتم هذا البعث من بعد الموت ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ** (٦٨) ﴾[الزمر : ٦٨] .

حيث يصدر الناس من قبورهم بين يدي الملك الديان ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ** (١٨) ﴾[الحاقة : ١٨] .

أتدري أيها الحبيب كيف يكون الحساب ؟ ، قال تعالى : ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ** (٤٧) ﴾[الأنبياء : ٤٧] .

أتدري ما دقة هذا الميزان؟، قال تعالى : ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ** (٧) **وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ** (٨) ﴾[الزلزلة : ٧ – ٨] .

والناس بين أمرين ، إما أن يكون خفة في الميزان وإما أن يثقل ميزانه ﴿ **فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (١٠٢) **وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ** (١٠٣) **تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ** (١٠٤) ﴾ .

[المؤمنون : ١٠٢ – ١٠٤] .

أتدري أين يذهب الإنسان من بعد هذا الميزان والحساب ؟ .

﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٧٢) [الزمر : ٧١ – ٧٢] .

وانظر إلى هذه الصورة المشرقة لمن ثقلت موازينه ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾ [الزمر : ٧٣ – ٧٤] .

فيا أيها الحبيب ، فلتستعد للوقوف بين يدي الملك الديان ، ولتستمع إلى قول نبيك ﷺ : « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم ، وينظر أشأم منه لا يرى إلا ما قدم ، وينظر تلقاء وجهه فتستقبله النار ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد فبكلمة طيبة** » .

اللهم ثبتنا على القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

- هل أحسست من قلبك مدى حبك للمال والحياة ؟ .
- هل أنت ممن ألهاك جمع المال والدنيا عن طلب الآخرة ؟ .
- ترى أيهما أحب إليك في قلبك الدنيا أم الآخرة ؟ .
- وأيهما لها الحظ الأوفر في قلبك ؟ .

أيها الحبيب :

لقد بيَّن لنا النَّبيّ ﷺ أن الإنسان مفطور على حب المال والدنيا وأن الإنسان لا يشبع من طلب الدنيا ،قال رسول الله ﷺ : « **لو كان لابن آدم واديًا من ذهب لأحب أن يكون له ثانيًا ، ولا يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب** » [الترمذي] .

ولقد بيَّن الله لنا أن الإنسان مركوز في فطرته وداخله حبه الشديد للمال، فالمال له معلم في قلب الإنسان، ولذا قال تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الفجر: ٢٠] ويقول سبحانه: ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [العاديات: ٨].

ولقد بيَّن الله تعالى في كتابه قوله : ﴿ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإنسان : ٨ – ٩] .

فعلى الرغم من أنه ينفق هذا المال قربة إلى الله ، ولكن بيَّن الله تعالى أنه ينفق

هذه النفقة في سبيل الله ، مع ذكر الله لحب الإنسان لهذا المال ولكنه آثر محبة الله على محبة النفس، لذا كان هذا التحذير من الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝١٦ ﴾ [التغابن : ١٥-١٦] .

انظر كيف فعل حب المال بأصحابه :

[١] قصة أصحاب الجنة :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝٢٠ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢١ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ۝٢٢ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ۝٢٣ أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ۝٢٤ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ۝٢٥ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ۝٢٦ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٧ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ۝٢٨ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٢٩ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ ۝٣٠ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ۝٣١ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ۝٣٢ ﴾ [القلم : ١٧ - ٣٢] .

انظر كيف اجتمعوا واتفقوا على عدم إعطاء حق الفقير والضن بهذا المال ، فكان نتيجة هذا الشح والبخل كما وصف الله لنا .

[٢] قصة صاحب الجنتين وكيف فعل طغيان المال بصاحبه :

﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۝٣٢ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا ۝٣٣ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً

وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف : ٣٢ – ٤٢] .

وهكذا كانت نهاية طغيان الإنسان المادي وبخله وضنه بهذا المال .

[٣] قصة قارون :

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص : ٧٦ – ٨٢] .

أعقلت أيها الحبيب :

كيف فعل المال بأهله ؟ ، دفعهم إلى الطغيان ودفعهم إلى الاستعلاء على الناس ودفعهم إلى الشح ، فكانت هذه النهاية ، ولذلك نجد أن النَّبيّ ﷺ حذر من الشح والطمع، فقال ﷺ : « **اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإنه أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلوا محارمهم** »[مسلم] .

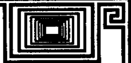
وهذا النَّبيّ ﷺ يحذر من الانشغال بالدنيا وتكثير المال ويتلهى الإنسان بذلك حتى يأتيه الموت بغتة « **ألهاكم التكاثر ، حتى يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس** »[مسلم] .

أيها الحبيب :

احذر أن تكون من عُبَّاد المال ، عسى أن تقول وكيف ذلك ؟، اسمع إلى قول الحبيب محمد ﷺ عندما دعا على عُبَّاد المال ، فقال ﷺ : « **تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ، إن أُعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش** »[البخاري] .

فاحذر من التنافس على الدنيا وعلى طلب حطامها الزائل الفاني ولك العبرة والعظة فيما سبقنا من الأمم السابقة فما أهلكهم إلا حب الدنيا والمال ، ولقد قال النَّبيّ ﷺ : « **فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم** » [متفق عليه] .

« اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا،واختم لنا بالباقيات الصالحات أعمالنا ، واجعلنا برحمتك هداة مهتدين » .



المجلس التاسع والعشرون



الآيـــة :

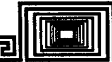
قال الله تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ [مريم : ٦٤ - ٦٥] .

الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : « **إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ـ ثم يسميه بعينه ـ خيراً لي في عاجل أمري وآجله ، أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال في عاجل أمري وآجله ، فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به** » [متفق عليه] .







بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

لقد أجاب النَّبيّ ﷺ على سؤال جبريل عليه السلام عندما قال :« **يا محمد ، أخبرني عن الإحسان ، فقال عندها ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه** »،فهل فكرت يومًا كيف تعبد ربك كأنك تراه ، وكيف تراه وقد قال النَّبيّ ﷺ : « **لن تروا ربكم حتى تموتوا** » ، وقال ﷺ : « **نور أنى أراه** » ، فما السبيل إلى ذلك ؟ .

أخي الحبيب :

سبيلك إلى ذلك لا يكون إلا عندما تتعرف على ربك الذي تعبده من خلال أسمائه ومن خلال ما وصف به نفسه أو وصفه به النَّبيّ ﷺ من صفات الجلال والجمال والكمال، فتتعرف على ربك ، أنه فعَّالٌ لما يريد، وأنه متفرد بالخلق والإرادة وأنه سبحانه حاكم بما أراده وأنه حي لا يموت ، وأنه قائم على كل شيء وقائم على كل نفس بما كسبت ، فربك لا شبيه له ولا نظير له ولا مثيل له ، وهو كما قال سبحانه : ﴿ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) ﴾ .

[مريم : ٦٤ - ٦٥] .

فهو سبحانه مالك السموات والأرض وما بينهما والمتصرف فيهما ، فكل شيء له وبيده وفي قبضته فإنه لا نظير له ولا مثيل له ولا شبيه له ، وهو المستحق وحده العبادة دون سواه ، بل يستحق منك أن تتحمل المشاق في سبيله إذ كل ما عداه مربوب له خاضع لحكمه ولتدبيره فيه .

فربك أيها الحبيب حي لا يموت ، وهو الحي الذي لم تُسبق حياته بالعدم ولم تعقب بالفناء ، فهو سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء ، وهو الآخر الذي ليس بعده شيء ، وهو الظاهرة الذي ليس فوقه شيء ، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، وهو القائل لرسوله ﷺ : ﴿ **وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ** ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

وكان النَّبيّ ﷺ يقول في دعائه : « **أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت ، الذي لا يموت والجن والإنس يموتون** » [خ / ٧٣٨٣ – م/ ٢٧١٧] .

وهو القيوم بنفسه القيم لغيره ، فجميع الموجودات مفتقرة إليه وهو غني عنها ، ولا قوام لها إلا به ولا قوام لها بدون أمره .

وعليك أيها الحبيب :

عليك أن لا تنس أن تدعو ربك باسمه الأعظم الذي إذا دُعيَ به أجاب ، وهو « **الحي القيوم** » ، الذي ورد في ثلاثة مواضع في القرآن :

في آية الكرسي : ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

- ﴿ **الم (١) اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)** ﴾ [آل عمران : ١–٢] .
- ﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١)** ﴾ [طه : ١١١] .

فربك سبحانه حيٌّ قيوم ، لا ينام فلا يعتريه نقص ولا غفلة عن خلقه ، وهذا النَّبيّ ﷺ يصف لنا ربه سبحانه : « **إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل**

النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره » .

وهو سبحانه لا يشبه المخلوقين لا في ذاته ولا في أسمائه أو صفاته أو أفعاله ، مقطوع طمع العبد أن يصل إلى كيف هو ولا كيف صفاته ، فهو كما قال سبحانه : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى : ١١] .

﴿ **وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ** ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠)** ﴾ [طه : ١١٠] .

وكفى في ذلك أيها الحبيب يكفيك وصف ربك لنفسه ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)** ﴾ [الإخلاص] .

فلا يعلم كيف هو إلا هو - ونقول : أن صفات الله حق على حقيقتها ، كما أخبر الله عز وجل بها ، وأخبر بها رسوله ﷺ من غير تكييف لها أو تمثيل ومن غير تحريف لها أو تعطيل، فإننا نؤمن بها ونفوض الكيفية إلى الله تعالى، ونقول : ﴿ **رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)** ﴾ .

[آل عمران : ٥٣] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

إن من سعادة الإنسان استخارته لربه ، فربك يعلم وأنتم لا تعلمون ، ولا يعلم الغيب إلا الله ، ولا يعلم عواقب الأمور إلا الملك الديان ، لتعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

ولقد كان النّبيّ ﷺ يعلم الصحابة ﷺ الاستخارة ، كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، فقال ﷺ : « **إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين غير الفريضة ، ثم ليقل : اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب ، اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمر ـ ثم يسميه بعينه ـ خيراً لي في عاجل أمري وآجله ، أو قال في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه ، اللهم وإن كنت تعلم أنه شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال في عاجل أمري وآجله ، فاصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم ارضني به** » [متفق عليه] .

ولقد قال النّبيّ ﷺ : « **من سعادة ابن آدم استخارته الله** » [مُسند الإمام أحمد] .

وتلحظ أيها الحبيب :

تلحظ شفقة النّبيّ ﷺ على أمَّته وتعليمهم جميع ما ينفعهم في دينهم ودنياهم وبيان أن العبد لا يكون قادراً إلا مع الفعل لا قبله ، وأن الله تعالى هو

خالق العلم بالشيء للعبد ، وهمه به واقتداره عليه فيجب على العبد رد الأمور كلها إلى الله تعالى أن يعلم أنه لا حول ولا قوة إلا بالله وحده ، وأن يسأل ربه في أموره كلها .

واعلم أن الاستخارة لا تكون في الواجب أو المستحب فإنه لا يستخار في فعلهما ، كذلك لا تكون في الحرام والمكروه فلا يستخار في تركهما ولكنها تكون في الأمور المباحة أو المستحب إذا تعارض منه أمران ، أيهما يبدأ به ويقتصر عليه .

وانظر كيف كان النَّبيّ ﷺ يعلِّم الصحابة الاستخارة كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، ففي ذلك إشارة إلى الاعتناء التام بهذا الدعاء وهذه الصلاة ، فكما نحتاج إلى القرآن في الصلاة فنحتاج إلى الاستخارة في عموم حاجات الإنسان ويظهر للإنسان ببركة الدعاء والصلاة ما هو خير ، والإنسان يتعبد لربه بصفتي العلم والقدرة ، وأنه يسلم الأمر لربه لأن الله يعلم وأنتم لا تعلمون ، فهو سبحانه قد أحاط بكل شيء علمًا .

ولقد قال النَّبيّ ﷺ : « **مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله : لا يعلم ما في غدٍ إلا الله ، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله ، ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله** » [البخاري] .

فالله تعالى علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات ، فالله تعالى يعلم جميع أحوال خلقه وأرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وشقاوتهم وسعادتهم ، ومن منهم من أهل الجنة ومن منهم من أهل النار ، بل ويعلم سبحانه عدد أنفاسهم ولحظاتهم وحركاتهم وسكناتهم أين تقع ومتى تقع وكيف تقع ؟ ، كل

ذلك بعلمه وبمرآى منه ومسمع ولا يخفى عليه منهم خافية ، فلا يعزب عنه سبحانه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ (٥) ﴾ [آل عمران : ٥] .

وكما يقول سبحانه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾ [يونس: ٦١] .

أيها الحبيب :

لابد أن يقع في قلبك بيقين أن ربك قد أحاط بكل شيء علمًا، وأنه سبحانه يعلم ما نخفي وما نعلن ، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، بل تكون على يقين أن ربك لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) ﴾ [الرعد : ٨ — ١٠] .

أيها الحبيب :

عندما نقول في دعاء الاستخارة : « اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر » ، فعندها أنت تتعبد لربك وتعترف بعلمه المسبق فنقول بلسان الحال والمقال : اللهم إن كان قد سبق في علمك أن هذا الأمر خيرٌ لي أو شرٌ عليَّ في الدنيا والآخرة في معاشي ومعادي حيث لا يعلم عواقب الأمور إلا أنت .

فإن كان خيرًا فاقدره لي ويسره لي وبارك لي فيه، فإنه لا غنى لي عن بركتك، فإن كان شرًا لي فاصرفه عني واصرفني عنه حتى لا يبقى قلبي بعد صرف هذا الأمر عني معلقًا به ، بل تطلب من ربك أن يقطع علائق قلبك بهذا

الأمر لما يرى من ميلك إليه على الرغم من شره ، لأنك تعلم أنه لا يقطع ذلك عنك إلا ربك فقلوب العباد بين اصبعين من أصابع الرحمن ، يصرفهما كيفما شاء ، وفي هذا التسليم المطلق لله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

« **واقدر لي الخير حيث كان ، ثم ارضني به** » اجعلني به راضيًا .

ففي الاستخارة يعلن العبد أنه لا حول ولا قوة إلا بالله .



المجلس الثلاثـــون

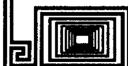
الآيـــــة :

قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (٥١) ﴾ [التوبة : ٥١]

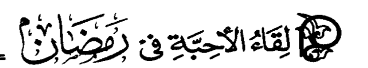
الحديـث :

قال رسول الله ﷺ : سيـد الاستغفـار أن تقـول : « **اللهـم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقـتني وأنا عـبـدك ، وأنا على عـهـدك ووعـدك مـا استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » [البخاري] .









أيها الحبيب :

لقد أخبرنا الحبيب محمد ﷺ : « **أن في الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب** » .

■ فهل فتشت في قلبك وقلبت بداخله لتنظر إن كان معلم الإيمان بالقضاء والقدر قد سكن في قلبك أم لا ؟ .

■ وهل ترى أن قلبك مطمئن بأن ما أصابك لم يكن ليخطئك ؟.

■ وهل تراه مطمئًا بأن ما أخطاك لم يكن ليصيبك ؟ .

■ وهل ترى هذه الطمأنينة في قلبك عندما علمت أن ربك قد فرغ من كتابة مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ وذلك قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة .

■ وهل ترى هذه الطمأنينة في قلبك وأنت تطالع كتاب ربك فعلمت أنه ما من مصيبة وقعت على الأرض أو وقعت على الإنسان إلا وهي مكتوبة في هذا اللوح المحفوظ ، وذلك قبل أن يخلقها ربك ؟ .

أيها الحبيب :

لقد قال لنا الملك الديان ، القوي المتين : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ** (٥١) ﴾ [التوبة : ٥١] .

فهل ترضى أيها الحبيب أن الذي يتولى أمورك وشئونك هو ربك سبحانه الذي بيده ملكوت السموات والأرض ، والذي بيده مقاليد الأمور الذي يدبر

الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون الذي يملك السمع والأبصار والمتصرف في هذا الكون بكل أنواع التصرفات من الإحياء والإماتة ، والاعزاز والإذلال ، والهداية والإضلال ، والعطاء والمنع ، والنفع والضر ، وغيرها ، هل ترضى بغير الله أحداً ؟ .

أيها الحبيب :

فليستقر في قلبك ولتعقد على قلبك وليكن في ذلك يقينًا في قلبك أن أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما لو اجتمعوا على إماتة ما الله محييه ، ما كان ذلك بممكن في استطاعتهم .

بل ولو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على إعزاز ما الله مُذله ، ما كان ذلك بممكن في استطاعتهم .

بل ولو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على خفض ما الله رافعه ، ما كان ذلك بممكن في استطاعتهم .

﴿ **قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)** ﴾[آل عمران : ٢٦ – ٢٧] .

ولو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهم على هداية ما الله مُضله ، ما كان ذلك بممكن في استطاعتهم .

﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾[الكهف :١٧] .

ولو اجتمع أهل السموات السبع والأرضين السبع ومن فيهن وما بينهما على ضر من هو نافعه ، ما كان ذلك بممكن في استطاعتهم .

﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨) ﴾ . [الأعراف : ١٨٨] .

أيها الحبيب :

أيليق بك بعد ذلك أن تخشى من مخلوق مربوب مثلك لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشوراً ، فضلاً عن غيره ؟! .

فلنتوجه إلى ربك ولتقل :

« اللهم إني عبدك ، وابن عبدك ، وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماضٍ فيَّ حكمك ، عدلٌ فيَّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علَّمته أحدًا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همِّي » .

ولتذكر أيها الحبيب :

هذه الوصيــة التي علَّمها النَّبيّ ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما لما قال لـه يا غــلام : **« إني أعلمك كلمات ، احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء ، فلن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، ولو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .**

أيها الحبيب :

عليك أن ترضى بقضاء ربك وقدره ، وليطمئن قلبك إلى ذلك ، وإياك

والتسخط أو الاعتراض على ما قدَّر ربك وقضى عليك ، فالأمر إليه سبحانه وليس إلينا ، فليكن توكلك واعتمادك على ربك ، على الحي الذي لا يموت ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

فلتعتمد على ربك في جلب المصالح ودفع المضار ، فلا خاب من توكل على الله فهو حسبك ونعم الوكيل ، ولتسلم إلى قدره وشرعه ، ولتتلقى أوامر ربك سبحانه بالسمع والطاعة والامتثال والانقياد ، ولتكن وقَّافًا عند نواهيه وحدوده ولا تتعداها ، فمن لم يؤمن بالقضاء والقدر وينقاد للأمر والنهي فهو مكذب بشهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ولو نطق بها بلسانه .

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ④ ﴾ [الممتحنة : ٤] .

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران : ٨] .



بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الحبيب :

كم مرة تستغفر ربك في اليوم والليلة ؟ .

ولماذا نراك زاهدًا في رحمة الله وفي جوده وكرمه ؟ .

أما تعلم أن ربك هو الذي يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وهو الذي يعفو عن السيئات .

أيها الحبيب :

- أتدري ما هي أفضل صورة للاستغفار ؟ .
- أتدري ما هو سيد الاستغفار ؟ .

قال النَّبيّ ﷺ سيد الاستغفار أن تقول : « **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك عليَّ ، وأبوء بذنبي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت** » [البخاري] .

أتدري ما ثواب من قالها موقنًا بها ليلاً كان أو نهارًا؟ ،فلقد قال النَّبيّ ﷺ : « **من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها ، فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة** » .

ولقد حث الله تعالى عباده على الاستغفار وعلى طلب المغفرة ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢** ﴾ [نوح : ١٠-١٢] .

وقد أثنى الله على عباده المتقين الذين إذا زلت أقدامهم عادوا تائبين منيبين إلى ربهم ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) ﴾[آل عمران : ١٣٥ – ١٣٦] .

وانظر إلى عظم ملازمة الإنسان للاستغفار ، فلقد قال النَّبيّ ﷺ : « **من قال أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ، غُفرت ذنوبه وإن كان فرَّ من الزحف** »[الترمذي] .

وقال أيضًا النَّبيّ ﷺ : « **ما من رجل يذنب ذنبًا ثم يقوم فيتطهر فيحسن الطهور ثم يستغفر الله عز وجل إلا غُفرَ له ، ثم تلا** ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ .

ولكن انتبه!! فمن شروط التوبة عدم الإصرار على المعصية ، لذا قال تعالى : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ .

وانظر إلى إبليس وبغيته وكيف أن الله تعالى نادى على القوم حتى لو استزلهم الشيطان حتى لا يقنطهم من رحمة ربهم الواسعة .

قال النَّبيّ ﷺ : « **قال إبليس يارب لا أزال أغويهم مادامت أرواحهم في أجسادهم ، فقال الله تعالى : وعزتي ، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » [مُسند الإمام أحمد] . فالله أكبر على سعة رحمة الله .

وإياك أن تقنط من رحمة ربك، واستمع إلى قول نبيك وحبيبك محمد ﷺ ماذا يقول ربك لهذا العبد المذنب إذا أتى تائبًا مستغفرًا .

قال النَّبيّ ﷺ : « **إن عبدًا أصاب ذنبًا فقال : ربِّ أذنبت ذنبًا فاغفر لي ،**

فقال ربه : أعلم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ ، غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنبًا فقال : رب أذنبت آخر فاغفره ؟ ، فقل : أعلم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ ، غفرت لعبدي ، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنبًا فقال رب أذنبت آخر فاغفر لي ، فقال : أعلم عبدي أن له ربًا يغفر الذنب ويأخذ به ؟ ، غفرت لعبدي ثلاثًا ، فليعمل ما شاء » .

فهذا الحديث ليدل على عظم سعة رحمة الله تعالى وعلى حلمه وكرمه سبحانه ، وأن العفو أحبَّ إليه من العقوبة ؟ ، وهو سبحانه المكتوب عنده عند العرش : أن رحمتي سبقت غضبي .

لكن انتبه : فعليك أن يخرج هذا الطلب للمغفرة من القلب قبل طلبه باللسان، وإلا لو طلبت الاستغفار باللسان مع وجود إصرار القلب على المعصية فهذا تلاعب واستهزاء ، قال سبحانه : ﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ .

أتدري أيها الحبيب ما معنى قولك « وأنا على عهدك » ؟ ، أي أنك محافظ على هذا العهد الذي أخذه الله على عباده حين أخرجهم أمثال الذر وأشهدهم على أنفسهم ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ فاقروا له بالربوبية وأذعنوا له وحده سبحانه بالوحدانية .

أيها الحبيب :

أتعلم لماذا سمي النَّبيّ ﷺ هذه الصيغة للاستغفار بسيد الاستغفار ؟ ، لأنها قد اشتملت على جمل كثيرة من المعاني الجميلة ، ففيها :

- الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية .
- الاعتراف بأنه الخالق سبحانه .
- الإقرار بالعهد الذي أخذه علينا سبحانه لما أخرجنا من ظهر آدم كأمثال الذر .

■ الاستعاذة من شر ما جنى العبد على نفسه وأنه لا منجى ولا ملجأ من الله إلا إليه ، وأن المعصوم من عصمه الله تعالى .

■ الرغبة في المغفرة والاعتراف بعجز الإنسان على جلب المصلحة لنفسه والاعتراف بأنه لا يقوى على غفران الذنب إلا الله وحده .

وأخيراً أيها الحبيب :

نذكرك بنداء النَّبيّ ﷺ على الناس ليواظبوا ويداوموا على ما كان النَّبيّ ﷺ يداوم عليه من الاستغفار ، فقال ﷺ : « **أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه ، فإني أتوب إليه وأستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة** » .

فعليك أن تحصي كم مرة في اليوم والليلة تستغفر فيها ربك ؟ .



فهرس

رقم الصفحة

■ المقدمة ٣
■ المجلس الأول ٦
■ المجلس الثاني ١٥
■ المجلس الثالث ٢٣
■ المجلس الرابع ٣١
■ المجلس الخامس ٣٨
■ المجلس السادس ٤٥
■ المجلس السابع ٥٢
■ المجلس الثامن ٦٢
■ المجلس التاسع ٦٧
■ المجلس العاشر ٧٤
■ المجلس الحادي عشر ٨١
■ المجلس الثاني عشر ٨٩
■ المجلس الثالث عشر ٩٧
■ المجلس الرابع عشر ١٠٣
■ المجلس الخامس عشر ١١١

- المجلس السادس عشر ١١٩
- المجلس السابع عشر ١٢٦
- المجلس الثامن عشر ١٣٣
- المجلس التاسع عشر ١٣٨
- المجلس العشرون ١٤٧
- المجلس الحادي والعشرون ١٥٥
- المجلس الثاني والعشرون ١٦٣
- المجلس الثالث والعشرون ١٧١
- المجلس الرابع والعشرون ١٧٨
- المجلس الخامس والعشرون ١٨٨
- المجلس السادس والعشرون ١٩٦
- المجلس السابع والعشرون ٢٠٥
- المجلس الثامن والعشرون ٢١٤
- المجلس التاسع والعشرون ٢٢٢
- المجلس الثلاثون ٢٣٠
- الفهرس ٢٣٩

